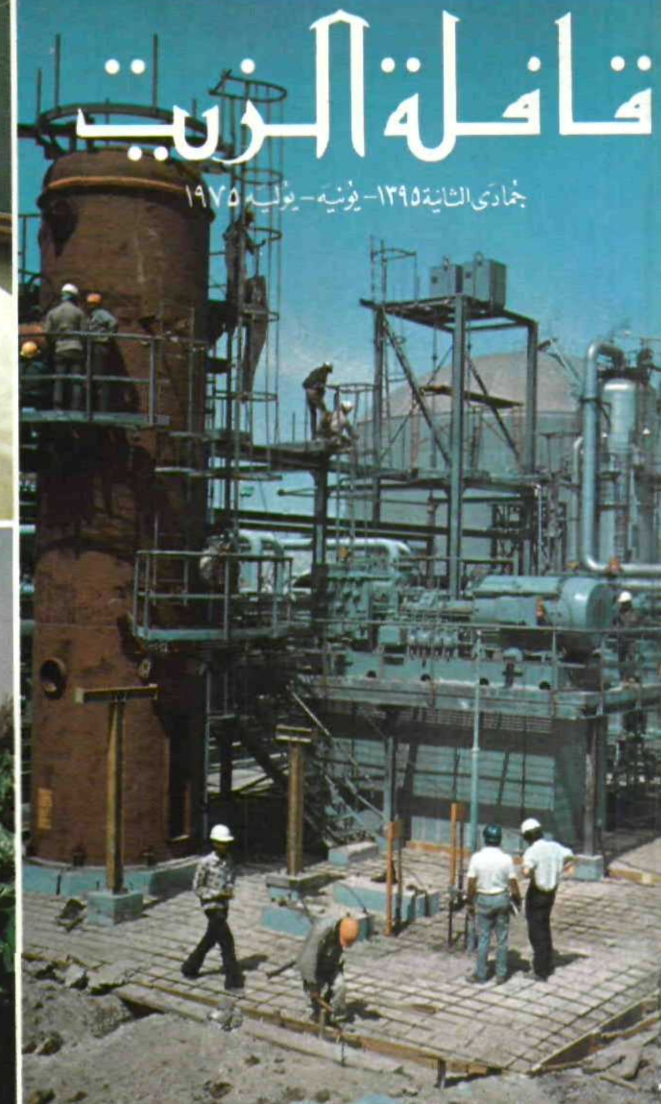
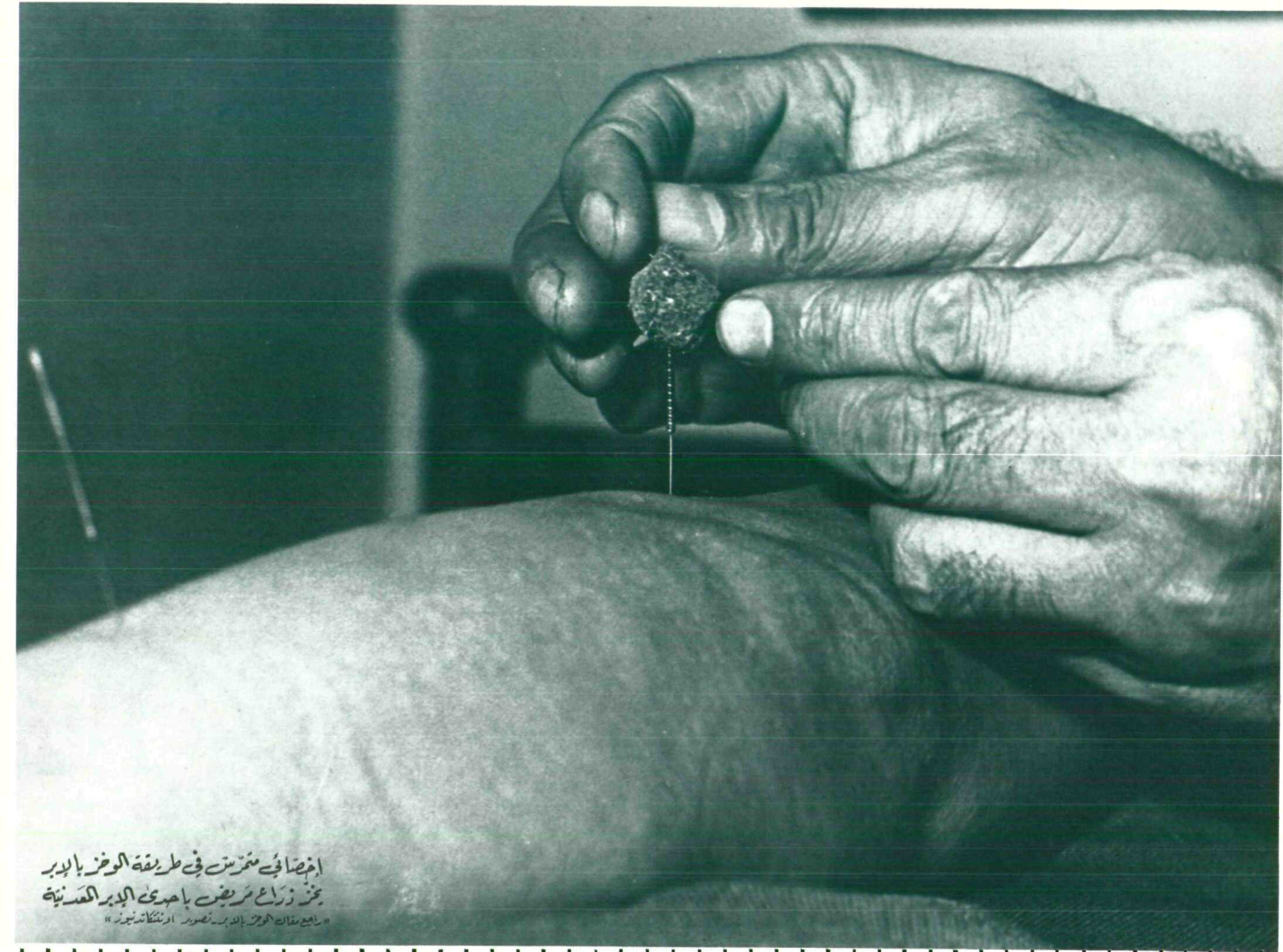




قافلة الزيت

جمادى الثانية ١٣٩٥ - يونيه - يوليه ١٩٧٥





إخصائي متمرّس في طريقة الوخز بالإبر
يخز ذراع مريض بإحدى الإبر المعدنية
«راجع مقال الوخز بالإبر - تصوير اونتنكاتدنيوز»

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها

إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي المحرر المساعد: عوني أبو كشك

العدد السادس المجلد الثالث والعشرون

محتويات العدد

بحوث ادبية

من قواعد الولاية في الإسلام .... ظافر القاسمي ٣

اشراق الرؤى (قصيدة) .... طاهر زمخشري ٦

الشاعر في مرآة ذاته .... وديع فلسطين ١٣

هنا انتظرناه (قصيدة) .... فاروق بنجر ١٥

لوحة من العرندس .... عبد العزيز الرفاعي ٣١

الطفل الكبير (قصة) .... رستم كيلاني ٣٣

النواحي الفنية في شعر العقاد .... عبد السلام طاهر الساسي ٣٥

أخبار الكتب ٣٨

ديوان صيدح (حصاد الكتب) .... أبو طالب زيان ٣٩

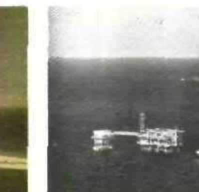





بحوث علمية

البحث عن الزيت في المناطق المغمورة .... فتحي أحمد يحيى ٧

الوخز بالإبر .... د. يونس شناعة ١٧

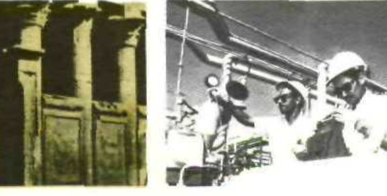

استطلاعات مصورة

أرامكو ١٩٧٤ .... ٢٥

الآثار الفرعونية في بلاد النوبة .... محمد زكي راغب ٤١








التعليق على صور الغلاف

لقطات تمثل جانباً من نشاطات أرامكو عام ١٩٧٤ . راجع مقال : « أرامكو – ١٩٧٤ »

من قواعد الولاية

من التدابير الإستثنائية التي اتخذها الرسول في تعيين الأمير ، ما صنعه مع أهل « مقنا » (١) وهم يهود كانوا يسكنون في الشمال الغربي من جزيرة العرب ، حيث ورد في معاهدته معهم : « وأن ليس عليكم أمير إلاّ من أنفسكم أو من أهل رسول الله » وكان علي بن أبي طالب كاتب المعاهدة . وهذا التعهد من رسول الله يشبه من بعض الوجوه ما نسميه اليوم بالحكم الذاتي (٢) .

بعد عصر الرسول

درج الخلفاء ولا سيما الراشدون بعد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، على العهد لعمالهم على شكل مكتوب في الغالب ، سواء أكان العمل عاماً أم كان لغرض خاص ، كما وقع في حروب الردة حيث وضع أنموذج يكاد يكون واحداً (٣) لجميع أمراء الجيوش الذين أوفدوهم لهذه الغاية . وقد تضمنت الأوامر والنواهي والوصايا بالرفق والشورى ، والتذكير بنصوص القرآن الكريم ، وهديه صلى الله عليه وسلم .

وسار الطبري على طريقة ذكر أسماء عمال كل خليفة بعد بيان وفاته أو الإشارة إلى انتهاء ولايته ولم يغفل ذكر القضاة والكتاب والعمال على الصدقات (الجباة) وغيرهم (٤) .

وكان الخليفة حراً في إسناد المناصب إلى من يراه أهلاً لها ، لا يألو في ذلك جهداً ، يراعي القواعد التي أمر بها القرآن الكريم أو سنّها الرسول عليه الصلاة والسلام، غير أنّ أموراً كان لا بد من وقوعها قد وقعت ، ومنها :

الاعتراض على تولية أمير

في كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب استعمل « عرفجة بن هرثمة » على مـــن كان مقيماً على جديلة من بجيلة ، فقال جرير لبجيلة : تقرون لهذا ؟ — وقد كانت بجيلة غضبت على عرفجة في امرأة منهم — فاجتمعوا فأتوا عمر فقالوا : أعفنا من عرفجة . فقال : لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً ، وأعظمكم بلاء وإحساناً . قالوا : استعمل علينا رجلاً منّا ، ولا تستعمل علينا نزيعاً (٥) فينا . فأرسل عمر إلى عرفجة فقال : إنّ هؤلاء إستعفوني منك ، وزعموا أنك لست منهم ، فما عندك ؟ فقال : صدقوا وما يسرني أني منهم ، أنا امرؤ من الأزد . . فقال عمر : لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك . ثم أمّره على الأزد (٦) .

وهذا يدلنا على أن الخليفة لم يكن يستبد في تعيين العمال ، وإنما كان يستمع إلى اعتراض المعترضين ، حتى إذا رأى الاعتراض معقولاً عدل عن رأيه . وهذا أيضاً من مبدأ الشورى .

الامتحان

فإذا جاء العصر العباسي رأينا ما يشبه امتحان العمال فيما يحسنون . فقد رُوي (٧) « أن رجلاً دفع إلى جعفر البرمكي رقعة ذكر فيها قصده إياه بأمل طويل ، ورجاء فسيح ، فوقّع على ظهرها : « هذا يمت بحرمة الأمل ، وهي أقرب الوسائل ، وأثبت الوصائل ، فليعجل له من ثمرة ذلك عشرون ألف درهم ، وليمتحن ببعض الكفايا (٨) فان وجدت عنده فقد ضمّ على حقه حقاً ، وإلى حرمته حرمة ، وإن قصّر عن ذلك فعلينا معوّله وإلينا مؤئله ، وفي مالنا سعة له » » .

فأنت ترى من هذا النص أن الوزير جعفر البرمكي قد أمر باجراء امتحان لمعرفة بعض كفاية الرجل طالب العون حتى إذا أثبت المقدرة ، ترتب له حق جديد .

مرجع التولية

الأصل في أن يكون الخليفة هو المرجع في تولية العمال . ولكن قد يفوض الخليفة امراءه في تولية من يرون الأعمال الفرعية ولا سيما في المناطق النائية ، حيث يرى الحاضر ما لا يراه الغائب ، وحيث تجدّ أمور تقتضي العجلة لئلا تضيع أو تتوقف مصالح الخلق ، وهذا مبدأ متفق عليه بين جميع علماء السياسة الشرعية ، وله أمثلة كثيرة في كتب التاريخ . فنجد « ابا يعلى » و « الماوردي » يجيزان تولية الأمير من قبل الوزير ولاية عامة (٩) . وفي كتب التاريخ شواهد على ذلك منها أن خراسان وسجستان جمعتا للحجاج مع العراق ، في أول سنة ثمان وسبعين فاستعمل عبدالله بن أبي بكرة على خراسان ، والمهلب بن أبي صفرة على سجستان (١٠) .

تحفظ في التولية

وقد يرى الخليفة أن بعض الناس يصلح مستشاراً ولا يصلح عاملاً ، فينبه إلى وجوب تجنب توليته ، ويوحي بالإنتفاع برأيه . من ذلك (١١) . « أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص ، وهو أمير الجيوش حين افتتح العراق ، أن شاور طلحة الأسدي وعمرو بن معد يكرب في أمر حربك ، ولا توّلهما من الأمر شيئاً فإن كل صانع هو أعلم بصنعته » .

وهذا هو الذي تفعله الحكومات الحديثة ، حيث تعين مستشارين لبعض المرافق العامة ، كرئاسة الدولة ، والوزارات ، ولا يكون لهم أكثر من إبداء المشورة . وفي قول عمر : « فإن كل صانع هو أعلم بصنعته » دليل على تفهم مبدأ توزيع العمل ، الذي اعتبر اصلاً في النهضة الحديثة .

---

(١) في معجم البلدان : مقنا قرب ايلة . وفيه : ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . (٢) نص المعاهدة في مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله — ص/٥٧–٥٨ . (٣) راجع النصوص في المصدر السابق — ص / ٢٥٤ وما بعدها . (٤) راجع على سبيل المثال : طبري ٣/٤٢٦ فيما يتعلق بأبي بكر و ٤٧٩ فيما يتعلق بعمر . (٥) النزيع : الغريب ، كالنازع . (٦) طبري ٣/٤٦٢ — ٤٦٣ . (٧) الوزراء والكتاب لجهشياري —ص/٢٠٥ . (٨) الكفاية : المقدرة والإمتلاء . أما الكفاءة فهي المماثلة . ومن الأخطاء الشائعة قولهم : فلان كفء والصواب كفي . (٩) الأحكام السلطانية للفراء ص١٨ والماوردي ص ٣٠ . (١٠) طبري ٦/٣٢٠ . (١١) ابن الجوزي ص٨٨ .

في الإسلام

بقلم: الأستاذ ظافر القاسمي

الطريقة الانتخابيّة ـ عمال العذر

لم تكن الطريقة الإنتخابية في اختيار العمال غريبة كل الغرابة عن نظام الحكم الإسلامي ، وإنما هناك دلائل تشير إلى أنها قد عرفت ، وإن لم نجد دليلاً عملياً على تطبيقها . ففي تاريخ الطبري (١٢) :

« وفد عبيد الله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال له : ائذن لوفدك على منازلهم وشرفهم ، فأذن لهم ، ودخل الأحنف بن قيس في آخرهم ، وكان سيىء المنزلة من عبيد الله فلما نظر إليه معاوية رحب به ، وأجلسه معه على سريره . ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله ، والأحنف ساكت فقال : ما لك يا أبا بحر لا تتكلم ؟ قال : إنْ تكلمت خالفت القوم ، فقال : إنهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا والياً ترضونه » .

من هذا الخبر نستطيع أن نؤكد أن الطريقة الانتخابية في توسيد الولاية إلى أصحابها كانت قد وجدت فعلاً منذ بداية الحكم الأموي ، وقد ذكر ذلك الطبري في حوادث سنة ٥٩ للهجرة . غير أن النصوص التي بين أيدينا فيها ما هو اوضح في الدلالة على أن الطريقة الانتخابية لم تكن تدور في أذهان الحكام حول الإمارة ليس غير ، بل إنها قد أشير بها في كل ما يتعلق بأعمال الدولة . فلقد عثرنا في تاريخ الطبري «حوادث سنة ١٠٦»(١٣) . على نصّ فريد يؤكد أن جهاز الدولة بكامله قد كان في فترة من فترات الحكم الأموي وفي منطقة معينة ، على الطريقة الانتخابية . فلقد كان عمر بن هبيرة أمير العراق وخراسان في خلافة يزيد بن عبد الملك ، وكان من الدهاة الشجعان ، وهو بدوي أميّ ، وكان عمر بن عبد العزيز ، وهو من هو ، ولاّه من قبل الجزيرة . قال الطبري : « كان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاّه خراسان : ليكن حاجبك من صالح مواليك ، فإنه لسانك والمعبر عنك ، وحثّ صاحب شرطتك على الأمانة ، وعليك بعمّال العذر . قال :

ـ وما عمّال العذر ؟

ـ قال : مر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم ، فإذا إختاروا رجلاً فولّه ، فإن كان خيراً كان لك ، وإن كان شراً كان لهم دونك ، وكنت معذوراً » .

وما نعلم أن في الأنظمة الحديثة ما يجيز تعيين موظفي الدولة بالانتخاب ، إلاّ ما كان من أمر الولايات المتحدة الأمريكية حيث يجري فيها كل أربع سنوات إنتخاب رئيس الجمهورية وحكام الولايات ، والقضاة ، وفيما عدا هذا الإستثناء ، فإن الطريقة المتبعة هي إطلاق السلطة التنفيذية في تعيين الموظفين حتى القضاة فإن تعيينهم يكون بمرسوم بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى .

ولا يرد على ما أشرنا إليه من سبق نظام الحكم الإسلامي في اختيار عمّال الدولة بالانتخاب لإن الأمر لم يكن عاماً ، إذ كان في منطقة محدودة ، ولم يستمر . لأن الذي يهمنا التأكيد عليه هو وجود الفكرة في رؤوس الحكام وقد وجدت فعلاً كما ترى وما هذا بالشيء القليل .

وقد تجد هذا الإصطلاح « أهل العذر » أو « عمال العذر » في كتب أخرى من تراثنا ولكنها وردت بمعنى آخر نرى من الضروري أن نشير إليه ، من ذلك ما ورد في تذكرة ابن حمدون (١٤) : « استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العذر الذين إن عذلوا فهو ما رجوت فيهم ، وإن قصّروا قال الناس : إجتهد عمر » .

وقد أشار شيخ الإسلام « ابن تيمية » إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في عدة مواضع من كتبه نستطيع أن نتبين منها فهم السلف لأحكام الشريعة في الطريقة الواجبة الإتباع في استعمال العمال. قال ابن تيمية(١٥) في :

وُجوبُ الولايَة

إنّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلاّ بها . فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلاّ بالإجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لهم عند الإجتماع من رأس فالواجب اتخاذ الأمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات . وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس ، لابتغاء الرئاسة أو المال بها (١٦) .

الولاية تتلقى بالعُرف

« عموم الولايات وخصوصها ، وما يستفيده المتولي بالولاية ، يتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف ليس لذلك حد في الشرع » . ويدخل في مفهوم هذا القول ما كنا أشرنا إليه سابقاً من أن التولية قد تكون خطية وقد تكون شفهية وأن الشرع لم يضع شكلاً معيناً لها .

إختيار الأمثل فالأمثل

الخلق عباد الله ، والولاة نواب الله على عباده ، وهم وكلاء العباد على نفوسهم ، بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر . ففيهم معنى الولاية والوكالة . ثم الولي والوكيل متى استناب في أموره رجلاً ، وترك من هو أصلح للتجارة أو العقار منه ، وباع السلعة بثمن ، وهو يجد من يشتريها بخير من ذلك الثمن ، فقد خان صاحبه ، لا سيما إنْ كان بين من حاباه

(١٢) ٥/٣١٦ راجع فيها بقية القصة . (١٣) ٣٥/٧ . (١٤) ص/٥٠ . (١٥) الحسبة ص/١٣ وما بعدها . (١٦) السياسة الشرعية ص/١٦١ .

وبينه مودة أو قرابة ، فإن صاحبه يبغضه ويذمه ، ويرى أنه قد خانه وداهن قريبه .

« إذا عرف هذا فليس عليه أن يستعمل إلا أصلح الموجود ، وقد لا يكون في موجوده من هو صالح لتلك الولاية ، فيختار الأمثل فالأمثل ، في كل منصب بحسبه ، وإذا فعل ذلك بعد الإجتهاد التام وأخذ للولاية بحقها فقد أدى الأمانة وقام بالواجب في هذا ، وصار في هذا الموضع من أئمة العدل والمقسطين عند الله . وإن اختل بعض الأمور بسبب من غيره إذا لم يكن إلا ذلك ، فإن الله تعالى يقول : « **فاتقوا الله ما استطعتم** » (١٧) ويقول : « **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** » (١٨) . وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب

« ومع أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة ، إذا كان أصلح الموجود ، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال ، حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ، فان ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

والمهم في هذا الباب معرفة الأصلح ، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ، ومعرفة طريق المقصود . فإذا عرفت المقاصد والوسائل تم الأمر .

« وكثيراً ما يقع الظلم من الولاة والرعية : هؤلاء يأخذون ما لا يحل ، وهؤلاء يمنعون ما يجب » .

فانت ترى أن ابن تيمية يتحدث عن الامارة حديث العالم الإجتماعي ، المستند في تقريره إلى الدين. وقد سبق ابن خلدون في ذلك بنحو ثمانين سنة .

ثم إنه يستنبط من نصوص الكتاب والسنة ما يحسن بالولاة من إسناد الأعمال إلى الأمثل فالأمثل . وإذا كانت الدول الحديثة قد عمدت على الامتحانات والمسابقات لتكون أقرب إلى التجرد ، فإن الشريعة الإسلامية لم تمنع ذلك ، وإن كان اللجوء إلى هذه الطريقة استثنائياً وإنما كان مرد الاختيار في التعيين إلى دين الخليفة أو الوزير أو الأمير .

حقوق العمال وواجباتهم

إذا كان على العامل أن يتفرغ لخدمة الدولة فإن له بمقابل ذلك ، فالشريعة الإسلامية جاءت واضحة في حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد صح أنه قال (١٩) :

« من ولي لنا شيئاً ، فلم يكن له امرأة ليتزوج ،

« ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً ،

« ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركباً ،

« ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادماً ،

« فمن اعد سوى ذلك جاء يوم القيامة غالاً سارقاً » .

وقد فكرت في هذا الحديث الشريف ، وتأملت في الحقوق التي منحها للعمال فلم أجد مثلها عند أية دولة من دول العالم الحديث . ذلك بأن العامل قد يكون فقيراً ، لا بل هو كذلك على الأعم الأغلب ، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهر زوجته إذا كان عزباً على بيت المال وذلك بغية إحصانه ، وغض بصره عن أعراض الناس . كذلك فإنه لا يعقل أن يكون العامل من غير مسكن ، فجعل مسكنه على بيت المال . وليس مفروضاً في العامل أن يتنقل من بيته إلى محل عمله أو لمراقبة أحوال الرعية مشياً على الأقدام ، لذلك أمر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أن يكون له مركب ، وهو في لغة اليوم السيارة . فإما أن يفترض أن بيت المال يضمن له كل هذه الحقوق في اليوم الذي يولى فيه ، وإما أن يكون راتبه كافياً لتدارك النفقة اللازمة بوفاء هذه الحقوق . وإلا لم يكن من معنى لهذه الأوامر الأربعة المتتابعة فيما إذا كان العامل عاجزاً عن القيام بها .

أما قوله : « فمن اعد سوى ذلك جاء يوم القيامه غالا سارقا » فإن أصل الغلول إخفاء ما يقع من الغنائم في يد الجنود وعدم تقديمها إلى صاحب الغنائم . ثم وسع معنى الغلول فأصبح يشمل كل ما يبتزه العامل من أموال الدولة أو أموال الناس بوجه غير شرعي . وقد جاء التحذير من الغلول في القرآن والحديث ، واعتبره هذا الحديث سرقة صحيحة . لذلك فإن العامل الذي يهيأ له المهر والمسكن والمركب والخادم ، لا يجوز أن يمد يده إلى أموال الدولة أو الناس وإلا كان حكمه حكم السارق .

حق الأمير في الاجتهاد برأيه

قد تطرأ أمور لم يعهد فيها للأمير ، سواء أكان العهد شفهياً أو خطياً . فهل يحق للأمير أن يتصرف برأيه ؟ إن النصوص الشرعية لم تتعرض لهذا الأمر بالتفصيل ولا بنص مخصوص ، وإن كان يستفاد منها وجوب عدم تفويت الفرصة . وفي أخبار الصدر الأول ما يشير إلى هذا الحق صراحة . قال الطبري في أخبار السنة الحادية عشرة من الهجرة (٢٠) :

« لما خرج خالد بن الوليد من ظفر سار يريد البطاح (٢١) دون الحزن (٢٣) وعليها مالك بن نويره ، وقد تردد عليه أمره ، وقد ترددت الأنصار على خالد ، وتخلفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة (٢٣) واستبرأنا (٢٤) بلاد القوم ، أن نقيم حتى يكتب إلينا .

« فقال خالد : إن يك عهد اليكم هذا ، فقد عهد إلي أن أمضي ، وأنا الأمير وإلي تنتهي الأخبار . ولو أنه لم يأتني كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت إن أعلمته فاتتني ، لم أعلمه حتى انتهزها . كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه ، لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ثم نعمل به » .

وفي الطبري خبر آخر يدل على حق الأمير في الاجتهاد برأيه في قصة طويلة خلاصتها أن سعد بن أبي وقاص أوفد وفداً لمفاوضة الأعاجم فقال لهم : (٢٥)

« إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم ؟

— قالوا جميعاً : نتبع ما تأمرنا به ، وننتهي إليه . فاذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي ، وأنفعهم للناس ، فكلمناهم به .

— فقال سعد : هذا فعل الحزمة . إذهبوا فتهيؤوا » ●

ظافر القاسمي — بيروت

---

(١٧) سورة التغابن — الآية ١٦ . (١٨) سورة البقرة — الآية ٢٨٦ . (١٩) راجع تخريجه في مشكاة المصابيح رقم ٣٧٥١— وتذكرة ابن حمدون ص/٦٨ . (٢٠) ٣/٢٧٦ . (٢١) في معجم البلدان : ماء في ديار بني أسد ، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأميرهم خالد بن الوليد وأهل الردة . (٢٢) اسم لعدة مواضع في جزيرة العرب . (٢٣) ماء لطي بأرض نجد — المصدر السابق . (٢٤) أي : طفناها كلها ولم نجد فيها ضالتنا . (٢٥) ٣/٥١٨ .

إشراق الرؤى (١)

للشاعر: طاهر زمخشري

والتقينا ، والليل يستتبع الخطو بلا غاية ودون اهتداء
وأنا أقطع الدروب على التيه ، وفي لج ليلة دكناء
تترامى بي الشجون ، ولا أعلم ماذا تحوك لي في الخفاء
والزفيف الملتاع في المعبر الموحش من خافقي الطروب الأداء
ناغمته الأنفاس ، طافت به السمار بسامة الشذا بالغناء
وانطلاق الأصداء من سامر الغيد أزاح الستار عن زهرائي
والعبير المبثوث منها على الدرب ينير السبيل للاسراء
لفؤاد ما رفّ الاّ اليها وهو يحيا على الأماني الوضاء
قدر ساقه على جنح ليل حالك الستر داكن الأرجاء
ليس ما يرتجيه غير وميض أو بصيص من فرحة باللقاء
والتقينا والشوق كاد من الفرحة ينسى حنيننا للقاء
ضرب الحب بيننا للتلاقي موعداً في حشاشة الظلماء
مركبي كان حيرتي ، والمجاديف اضطرابي من زحمة الرقباء
وشراعي الرفّاف باللوعة الخرساء قلب يرف في استحياء
وعلى الصمت من هوانا التعابير تجيد الأداء بالاصغاء
فاذا بالظلام يسكب نجوانا وجيبا مغرد الأصداء
والدجى كان واجماً يسرق السمع ويصغي لهمسنا في حياء
قلت من ؟ فأجاب الصمت .. ذات الخمار أخت ذكاء
من تراها غير التي تملأ العين رؤاها ولا تلوح لرائي
وهي همس الضمير ان عسعس الليل ، وان غرّد الضحى بالضياء
هي في الحس والجوانح والأعماق مني ، وفي مجاري الدماء
هي في خاطري ، ومنها لأفكاري وشاح يلفها بالبهاء
هي من رقة تكاد بها النسمة تسري مع الشذى في الجواء
التقينا ، وصفونا لم يقل شيئاً ، وخلّى السبيل للإيماء
قلت أهلا .. فلم يجبني سوى الأصغاء منها يعيد رجع غنائي
يا حياتي ان كنت فوق التمني فالرؤى منك مشرقات المرائي

طاهر الزمخشري – جدة

البحث عن الزيت والغاز في المناطق المغمورة

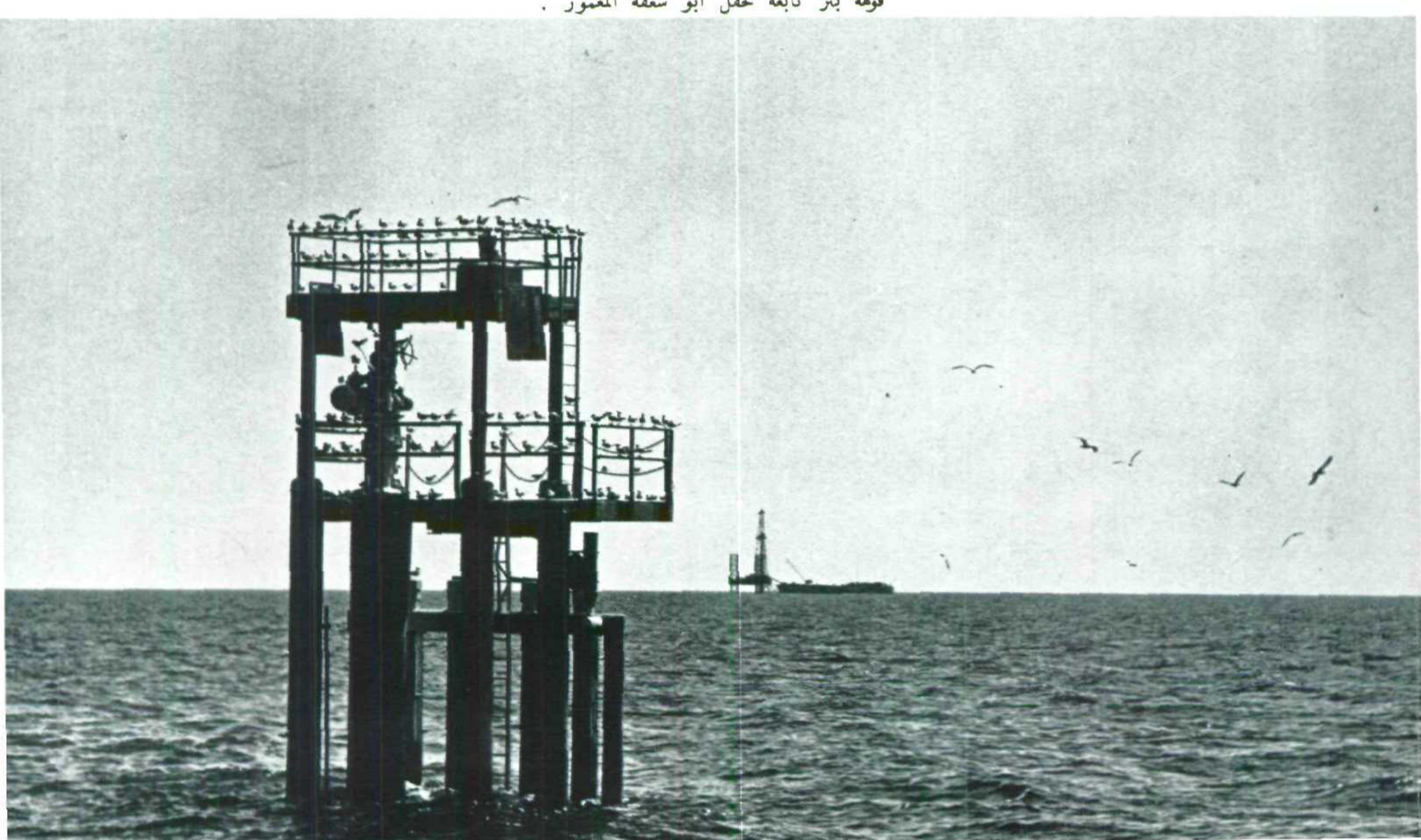
بقلم : المهندس فتحي أحمد يحيى

ليس من شك في أن التنقيب عن الزيت على اليابسة وفي المناطق المغمورة مهمة شاقة محفوفة بالمخاطر ومقرونة بالصعاب ، وقد امتد البحث عن الزيت والغاز من أجل مواجهة احتياجات العالم المتزايدة من الطاقة حتى شمل المناطق المغمورة بالماء ، وشهدت هذه المناطق خلال السنوات القليلة الماضية نشاطاً ملحوظاً في عمليات التنقيب والاستكشاف نظراً لأن معظم المناطق المؤمل وجود الزيت فيها على اليابسة قد تم فحصها أو الحفر فيها . ولقد اتجهت أنظار العالم إلى المناطق المغمورة بالمياه حيث يوجد معظم مخزون الزيت والغاز الذي لم يتم اكتشافه بعد . ويتوقع المراقبون أن يرتفع الطلب على الطاقة في السنوات العشر القادمة إلى ضعف ما هو عليه الآن ، مما قد يجعل النفط عاجزاً بدوره عن تلبية احتياجات العالم المتزايدة من الطاقة لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي المطرد .

إن عمليات الحفر في المناطق المغمورة ليست حديثة العهد كما قد يتراءى للقارىء ، وإنما كانت معروفة منذ عشرات السنين ، حيث اكتشفت كميات كبيرة من الزيت في أنحاء مختلفة من العالم . ويقدر إنتاج الزيت من المناطق المغمورة في هذه الأيام بأكثر من ١٧٪ من إنتاج العالم ، أي ما يربو على ثمانية ملايين برميل في اليوم ، وكما يقدر مخزون الزيت والغاز الثابت وجوده في المناطق المغمورة بحوالي (١٠٠) بليون برميل أو ما يعادل ٢٠ بالمئة تقريباً من مجموع مخزون العالم .

لقد بدأت عمليات الحفر في المناطق المغمورة في الولايات المتحدة الأمريكية أول ما بدأت في ساحل ولاية كاليفورنيا في أواخر القرن السابق ، ثم انتشرت هذه العمليات في تلك المنطقة وفي منطقة خليج المكسيك ، وقد تم حتى الآن إنجاز أكثر من (١٥٠٠٠) بئر في مياه السواحل الأميركية . وبذلك تكون الولايات المتحدة الأمريكية أسبق بلدان العالم في البحث عن الزيت في المناطق المغمورة . ومن بين المناطق المغمورة التي تجري فيها عمليات الاستكشاف والحفر بصورة مستمرة في الوقت الحاضر بحثاً عن الزيت ، بحيرة ماراكيبو ، وبحر الشمال وسواحل غرب أفريقيا ، وسواحل أمريكا الجنوبية ، والمياه الأسترالية والأندونيسية ، وأيضاً منطقة الخليج العربي وسواحل شمال أفريقيا . وقد حفرت آبار عديدة وأخرى لا تزال قيد الحفر في

فوهة بئر تابعة لحقل أبو سعفة المغمور .



برج للحفر تستخدمه أرامكو في عمليات الحفر في المنطقة المغمورة .

أكثر من سبعين بلداً في أنحاء مختلفة من العالم . كما أنّه قد تم إنتاج البترول في المناطق المغمورة في أكثر من عشرين بلداً من هذه البلدان ، فضلاً عن أنّه يوجد أكثر من (٤٠٠) جهاز حفر تعمل في هذه المناطق باستمرار للبحث عن الزيت والغاز . وجدير بالذكر أن معظم هذه المناطق التي يتم إنتاج الزيت والغاز فيها قد يبلغ عمق الماء فيها نحو ٦٠٠ قدم أو أكثر وقد تبعد مسافة أكثر من ٢٦٥ كيلومتراً عن الشاطيء .

تعد عمليات الحفر في المناطق المغمورة أكثر تعقيداً وكلفة بل وأكثر تحدياً للمهندسين والفنيين والعاملين في هذا المجال من عمليات الحفر على اليابسة ، بالإضافة إلى أنّ احتمالات اكتشاف الزيت أو الغاز بكميات تجارية فيها تكاد تكون ضئيلة إذا ما قورنت باحتمالات النجاح في العثور على الزيت في آبار الاستكشاف على اليابسة . ومن ناحية أخرى فإن أعمال التنقيب عن الزيت في المناطق المغمورة أو على اليابسة تقترن باعتبارات إقتصادية ودراسات علمية واسعة ، وتخطيطات دقيقة محكمة ، ومع ذلك فإنّ النشاط في البحث عن الزيت لا يزال مستمراً . وحتى نقف على الأسباب الكامنة وراء ذلك ، علينا أن نتأمل الصورة الحقيقية لمسألة العرض والطلب لهذا النوع من الطاقة .

متطلّباتُ العالَم من الطاقة

إزداد استهلاك العالم من الطاقة حوالي ٧٠ في المائة في الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠، ولا يزال هذا الإزدياد في اطراد بنسبة حوالي ٥,٥ في المائة سنوياً . وتعكس هذه الزيادة في استهلاك الطاقة رغبة العديد من دول العالم في تطوير اقتصادياتها ورفع مستوى المعيشة فيها ، ومع أنّ البلاد المتطورة والصناعية تستهلك نسبة عالية من الطاقة في هذه الأيام إلاّ أنّ استهلاك الزيت في بقية بلدان العالم قد أخذ في التزايد . وإذا ما استمرت هذه

الزيادة في استهلاك الطاقة فإنّ الطلب عليها سيتضاعف في السنوات العشر القادمة وسيصبح ثلاثة أضعاف بحلول عام ١٩٩٠ .

وإذا ما أخذنا بلداً ، على سبيل المثال ، كالولايات المتحدة الأميركية حيث تضم حوالي ٦ في المائة من عدد سكان العالم والتي تستهلك حوالي ٣٥ في المائة من الطاقة في العالم ، فإننا نجد أن أنواع الطاقة المستخدمة فيها هي :

الطاقة الهيدروكهربائية : المتوقع أن تتناقص نسبة استهلاكها من ٤ في المائة إلى ٢ في المائة في عام ١٩٨٥ وذلك نظراً لعدم وجود مواقع جديدة للسدود في المستقبل أو لعددها المحدود .

الطاقة الذرية : كان استخدام هذا النوع من الطاقة بطيئاً وذلك لبطء تطويرها وهي الآن تغطي حوالي واحد في المائة من احتياجات الطاقة فقط ، ومن المنتظر أن تزيد هذه النسبة إلى ١١ في المائة بحلول عام ١٩٨٥ .

الطاقة الناتجة عن استعمال الفحم : يتزايد استهلاك الفحم ، باعتباره واحداً من مصادر الطاقة الهامة للولايات المتحدة الأميركية . ومن المحتمل أن يمدّ الفحم الصناعة الأميركية بحوالي ٢٠ في المائة من متطلبات الطاقة في عام ١٩٨٥ .

الوقود الصناعي—SYNTHETIC FUELS : تعتبر أنواع هذا الوقود والتي تضم الزيت والغاز الناتجين عن الفحم والسجّيل « Shale » مصدراً هاماً من مصادر الطاقة على المدى البعيد ولكنه من غير المتوقع أنْ يتم إنتاجها بكميات تجارية قبل حلول عام ١٩٨٠ .

الغاز الطبيعي : يعد الغاز الطبيعي بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية ثاني أكبر مصادر الطاقة المستخدمة بعد الزيت ، ومع أنّ استهلاك الغاز آخذ بالتزايد إلاّ أن نسبة مشاركته في تلبية متطلبات الطاقة ستتناقص من ٣٣ بالمائة في الوقت الحاضر إلى ٢١ بالمائة في عام ١٩٨٥ .

الطاقة الناتجة عن الزيت : سيبقى الزيت المصدر الرئيسي للطاقة ، وسيتضاعف استهلاكه في عام ١٩٨٥ بحيث يصل إلى حوالي ٢٨ مليون برميل في اليوم ، كما أنّ نسبة مشاركته في تلبية متطلبات الطاقة ستبقى حوالي ٤٥ في المائة .

ونتيجة لاستهلاك الطاقة المتزايد في العالم ، وصعوبة البحث عن الزيت في المناطق المتبقية من اليابسة والتي لم يتم التنقيب فيها بعد ، ونظراً للزيادة الباهظة في التكاليف ، فإنّ العالم لم يجد بدّاً من الاتجاه نحو المناطق المغمورة بحثاً وراء إيجاد مخزون جديد للزيت لإيجاد مجال جديد للطاقة من أجل استمرار المجتمع الصناعي وتطوير المجتمعات الأخرى .

التحديات الضخمة لعمليات البحث عن الزيت في المناطق المغمورة

يتطلب البحث عن الزيت وإنتاجه في المناطق المغمورة جهوداً ضخمة ودراسات علمية وافية ، علاوة على الأموال الطائلة التي تنفقها الشركات على عمليات الاستكشاف في هذه المناطق . وهناك تكاليف معدات الإنتاج وتكاليف التشغيل التي تفوق إلى حد كبير تلك التكاليف التي تترتب عليها عمليات الإنتاج والتشغيل على اليابسة . كما أنّ إنجاز الآبار المنتجة وعملية نقل الزيت أو الغاز من حقوله إلى الشاطيء تعتبر من العمليات العالية التكاليف ، وعليه فإنّ الزيادة في نسبة إنتاج الزيت من المناطق المغمورة ستؤدي بالتالي إلى زيادة تكاليف الإنتاج للبرميل الواحد عامة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ عمليات الحفر الاستكشافية التي تمت في مياه تزيد أعماقها على ٢٠٠ متر كانت محدودة ، كما أنّ معظم عمليات الحفر لإنتاج الزيت أو الغاز قد تمت في مناطق لا تبعد أكثر من ١٦٠ كيلومتراً عن اليابسة . ومن الواضح أنّ البحث عن الزيت في المستقبل سيأخذ مجراه في مناطق أبعد



الزيت الخام يشحن من مرافق التحميل في الظلوف على الخليج العربي .

وفي مياه أعمق مما هو عليه الآن . وإذا ما سمحت أحوال التنقيب والاستكشاف ، فإنّ عمليات الحفر قد تتم في مياه تزيد أعماقها على ١٨٠ متراً . ومثال ذلك المناطق الشرقية من ساحل كندا حيث حفرت آبار للزيت في مياه بلغت أعماقها أكثر من ٣٠٥ أمتار .

ولعل من أهم التحديات التي تواجه رجال الزيت في عمليات الحفر والإنتاج في المناطق المغمورة التقلبات الجوية وما يصاحبها من رياح وعواصف عاتية وأمطار وثلوج ، وضباب وأمواج عالية ، وفي بعض الأحيان الأعاصير والجبال الجليدية العائمة . والمعروف أنّ هذه العوامل لا تعرقل سير العمل فقط ولكنها تهدد سلامة القائمين على العمل وسلامة المعدات والأجهزة المختلفة . وقد يؤدي هبوب مثل هذه العواصف البحرية الهوجاء التي قد تصل



جهاز الحفر المتنقل رقم – ٢ في احدى مهام الحفر التي تضطلع بها أرامكو.



منظر جوي لفرضة السفانية وبعض مرافق الزيت التابعة لها .



فرضة الجعيمة أحدث فرضة لشحن الزيت أنشأتها أرامكو في الخليج العربي .

أحد معامل أرامكو لفرز الغاز من الزيت.

سرعة الريح خلالها إلى أكثر من ١٦٠ كم في الساعة، وارتفاع أمواج البحر إلى أكثر من ٢٠ متراً ، إلى إيقاف عمليات الحفر وبالتالي إلى عرقلة سير عمليات الإنتاج .

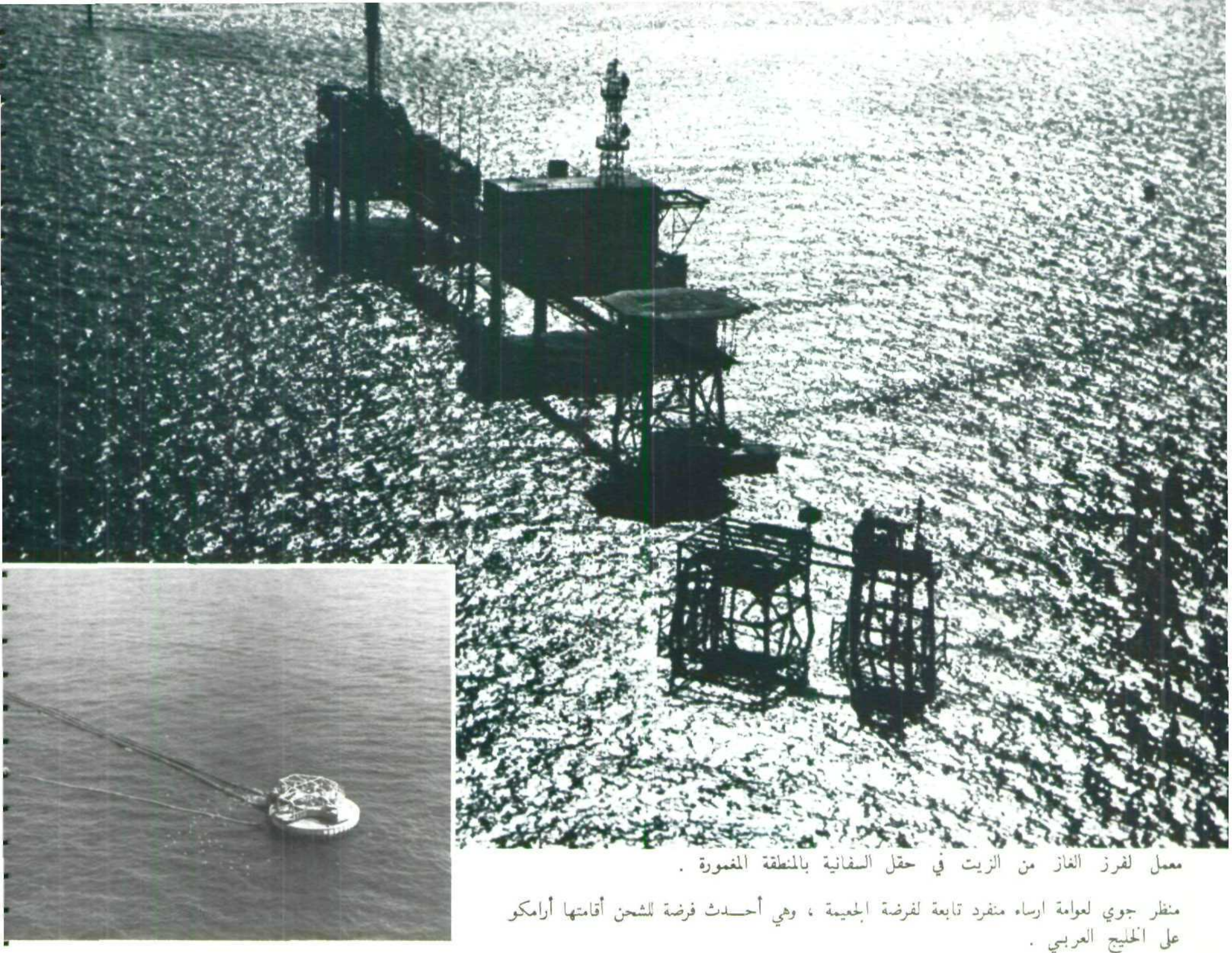
هذا وقد تم تطوير أنواع عديدة من أجهزة الحفر في المناطق المغمورة مجهزة بمعدات وآلات معقدة توائم متطلبات الحفر في تلك المناطق . كما أنّ تأمين إيصال المواد والمعدات ونقل الموظفين من وإلى تلك الأماكن النائية كان حافزاً لدور الصناعة العالمية على تطوير معدات بحرية من قوارب ووسائل نقل ، على مستوى عال جداً يتفق وظروف العمل في المناطق المغمورة .

البحث عن الزيت والغاز

يبدأ البحث والتنقيب عن الزيت والغاز في أيّ منطقة ما بالمسح السسموغرافي – Seismic Surveys حيث تنتقل الموجات الصوتية من السطح إلى أعماق الطبقات الجيولوجية فتنعكس هذه الموجات من الطبقات المتعاقبة بعضها تحت بعض إلى السطح ثانية ، وعندئذ يتم التقاط وتسجيل هذه الموجات المنعكسة من الأعماق بواسطة لاقطات الصوت . وبقياس فترات الوقت التي تستغرقها هذه الموجات الصوتية في الوصول إلى الطبقة الصخرية المعينة والعودة إلى السطح ، ومعاينة هذه المعلومات وتقويمها يتسنى للمشرفين على هذه العمليات معرفة التناسق والترتيب العام للتكوينات الصخرية ، واحتمال وجود محابس (مصائد) Traps صالحة لتجميع الزيت أو الغاز .

وإذا ما تجمعت المعلومات الجيولوجية والجيوفيزيائية وتم فحصها والتدقيق فيها ثم تقويمها على أحسن وجه ، وكانت كلها تدل على احتمال وجود زيت أو غاز أو كليهما تحت قاع المحيط ، فإنّ الخطوة التالية هي عملية « الحفر الاستكشافي – Exploratory Drilling »، وتقوم بهذه العملية عادة ثلاثة أنواع من أجهزة الحفر البحرية وهي :

• الأجهزة التي تجر إلى مواقع الآبار حيث تنزل



معمل لفرز الغاز من الزيت في حقل السفانية بالمنطقة المغمورة .

منظر جوي لعوامة ارساء منفرد تابعة لفرضة الجعيمة ، وهي أحـدث فرضة للشحن أقامتها أرامكو على الخليج العربي .

قوائم بارجة الحفر إلى قاع البحر وترتفع منصة العمل عن سطح البحر . ويستعمل هذا النوع من الأجهزة في مياه عمقها لا يتعدى ٣٠٠ قدم .

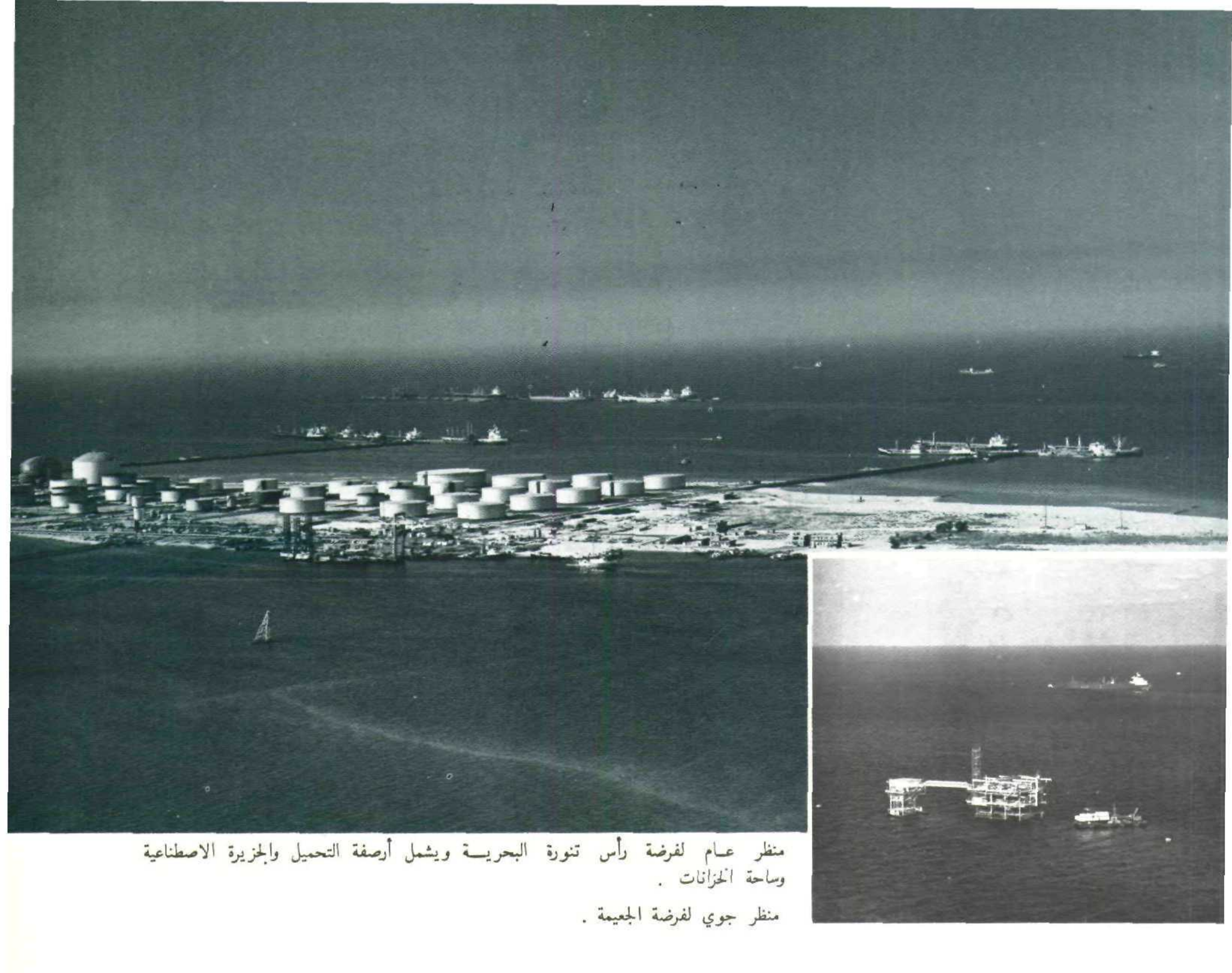
• منصة الحفر العائمة والتي هي عبارة عن سفينة قطع في قاعدتها جزء ليكون معداً لعمليات الحفر . ويجري استخدام هذه المنصة عادة في حفر آبار يصل عمق المياه في مواقعها إلى أكثر من ١٠٠٠ قدم .

• الأجهزة نصف المغمورة بالماء : وبالإمكان استعمال هذه الأجهزة في مياه عمقها ٦٠٠ قدم .

إنّ عملية حفر الآبار في المناطق المغمورة تشبه في جوهرها عملية حفر الآبار على اليابسة إلاّ أنّها أكثر كلفة وأكثر تحدياً للجهد الإنساني وذلك بسبب تقلب البيئة في البحار والمحيطات . ولعل من أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في هذه العمليات إتباع أصول السلامة في كل خطوة وفي كل عمل يقوم به العاملون على أجهزة الحفر هذه . كما أنّ استعمال « مانعات الإنفجار للآبار — Blowout Preventers وهي الأجهزة التي بواسطتها يمكن التحكم في الآبار عند حدوث أيّ أمر يستدعي ذلك ، يعتبر من الأمور الهامة في عمليات الحفر ، حيث أنّه يمكن أن يغلق ، بواسطة هذه الأجهزة ، الحيز ما بين أنابيب التغليف وأنابيب الحفر في ظرف ثوان إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك . وفي حالة اكتشاف الزيت أو الغاز بكميات تجارية تقام المنصات الثابتة حيث تتم عملية الحفر لتستعمل فيما بعد كمنصات للإنتاج .

تكثّر المنشآت البحرية ومنصات الإنتاج في مياه خليج المكسيك حيث العواصف البحرية السريعة التي قد تصل سرعتها إلى ٢٢٥ كم في الساعة والأمواج البحرية العاتية التي يصل علوّها أحياناً إلى ٦٠ قدماً ، وكذلك الحال في المياه الكندية أو بحر الشمال . كما تكثّر مثل هذه المنشآت في مياه الخليج العربي مقابل الساحل العربي السعودي ومقابل ساحل الإمارات العربية المتحدة ومقابل الساحل الإيراني ، وخير مثال على هذه المنشآت منصات الإنتاج ومعامل فرز الغاز من الزيت المقامة في المنطقة المغمورة في حقول السفانيـة والبري وأبو سعفة والمرجان والظلوف بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

ومن أهم وسائل الوقاية المتبعة في عمليات إنتاج الزيت والغاز من المناطق المغمورة ، إنجاز الآبار باستعمال أحد أنواع « صمامات الأمـان — Safety valves » في داخـل الآبار وعلى عمق تحت قاع البحر أو المحيط ، وعمل هذه الصمامات هو إغلاق الآبار وإيقاف عملية الإنتاج حالاً في حالة نقصان معدل الضغط عند فوهه البئر فجأة لخلل أو كسر



منظر عـام لفرضة رأس تنورة البحريــة ويشمل أرصفة التحميل والجزيرة الاصطناعية وساحة الخزانات .

منظر جوي لفرضة الجعيمة .

قد تتعرض له خطوط الجريان وتجميع الزيت ، أو في حالة الزيادة المفاجئة في معدل الإنتاج من البئر . فإذا ما هبت العواصف الشديدة وتعرضت مواسير الجريان أو خطوط الأنابيب لأيّ خلل أو عطب ، فإنّ صمامات الأمان هذه تعمل على وقف الإنتاج من الآبار ، مما يجعل عمليات الإنتاج في وضع مأمون . كذلك تحول دون تلوث مياه البحار والمحيطات بالزيت فيما لو بقيت هذه الصمامات عاطلة عن العمل .

الأبحاث والتكنولوجيا الحديثة

إنّ البحث عن الزيت والغاز في مناطق أبعد فأبعد عن الشاطىء وفي مياه أعمق قد أوجب أمرين هامين هما :

إمتداد التقنية العلمية المستعملة لسنوات عديدة في عمليات البحث والإنتاج في المناطق المغمورة الضحلة ، لتشمل المناطق المغمورة ذات المياه العميقة ، وتحسين وتطوير تكنولوجيا جديدة تناسب ظروف عمليات الحفر في مياه يصل عمقها إلى مئات الأقدام .

ومن الأمثلة على استخدام هذه التقنية الجديدة تطوير منصات الحفر العملاقة وكذلك أسلوب الإنتاج المستعمل في حقول الزيت في خليج سانتا بربارا — Santa Barbara على شواطىء الولايات المتحدة الأميركية والتي يتراوح عمق المياه فيها ما بين ٧٠٠ و ١٥٠٠ قدم .

وقد تم تصميم نظام الإنتاج هذا بحيث يمكن إيصال إنتاج أكثر من أربعين بئراً منجزة تحت الماء إلى منصة الإنتاج الرئيسية ، ويتم حفر هذه الآبار باتجاهات مختلفة من منصة الإنتاج النهائية وذلك بواسطة منصة حفر عائمة . وتستعمل الأجهزة الألكترونية في مثل عمليات الإنتاج لتتولى مهمة مراقبة سير العمل بفتح الصمامات أو إغلاقها . ويقوم العلماء والباحثون بالدراسة والاختبار لمعرفة ما قد يسببه تلوث مياه البحار بالزيت والغاز من أخطار قد تتعرض لها الكائنات البحرية وما قد ينتج عن ذلك من تغيير في التركيب العضوي لهذه المخلوقات والنباتات المائية على حد سواء .

وبعد، فإنّ صناعة الزيت آخذة بالتطور السريع ، يصحبها تطور ملحوظ في أساليب الحفر والإنتاج والتصنيع مما يجعل أنظار خبراء الزيت في العالم تتجه إلى المناطق المغمورة يحدوهم الأمل في إيجاد مخزون جديد من الزيت والغاز يفي بالطلب المتزايد على الطاقة اللازمة لتحقيق مزيد من التقدم العلمي والتقني ، الكفيل بتوفير حياة أفضل للإنسانية جمعاء . وتمشياً مع هذا التطور المذهل لا يفتأ العلماء والمهندسون يواصلون البحث والتنقيب عن مصادر جديدة للطاقة وتطوير المصادر الموجودة حالياً حتى تظل عجلة التصنيع في دوران مستمر ●

فتحي أحمد يحيى — الظهران



بقلم : الأستاذ وديع فلسطين

رجعت الى طائفة من دواوين الشعراء لأتبين منها كيف يرى الشاعر ذاته ، وكيف يصف منزلته بين الزمرة من الناس . فالفيت بعضهم قد استوثق من نفسه اتم استيثاق ، فضرب الأرض بقدمه ، وشمخ برأسه وقال ما معناه : لا قبلي ولا بعدي ، فأنا الشاعر وأنا الشعر ، وما عداي عبث . وألفيت غيره مستكثراً على نفسه ان يحصى بين الشعراء أو أن يحسب في جملة الناس ، فأسلمه الزهد الى التواضع ، وأسلمه التواضع الى انكار الذات الا من كونه بشراً سوياً . وألفيت بين الشعراء قوماً توسطوا الأمر ، فوصفوا أنفسهم أدق وصف وانصفوا شعرهم في غير عنجهية مفرطة او تواضع مسرف ، وصوروا مذاهبهم تصوير واقع مأنوس .

أما الشعراء الذين رأوا أنفسهم في مرآة الاتضاع ، ففي طليعتهم خليل مطران الذي وصف نفسه في مواضع كثيرة من ديوانه وصفاً بالغ التواضع ، بل قدم ديوانه الى الناس في استحياء واضعاً « اللوم » في اصداره على « فريق من الأصفياء والعشراء أبوا عليه الا أن يكون له ديوان كسائر الشعراء . . فلئن صح لدى أولئك النفر الأفاضل من اخواني أن أمثال هذه الكلم المقفاة جديرة بأن تسمى في مجموعها ديواناً ، لقد استعنت الله ، وهذا ديواني » .

ومع ان خليل مطران يقترن اسمه دائماً بشوقي وحافظ وينسب الى طبقتهما الرفيعة في الشعر ، ومع أنه عمّر بعدهما نحو عشرين عاماً رأى فيها من تكريم الناس والحفاوة به وبشعره ما كان خليقاً ان يورثه الغرور والكبرياء ، فقد ظل بتواضعه الفريد قليل الرضا عن شعره ونفسه ، وعبّر عن ذلك في موضع بقوله :

عندي الحائلان دون رفيع القدر
من قلة ومن اقلال
ما يرجى من مشهدي او مغيبي
ومكاني الا من الطيف خال

فهو في ميزان نفسه لن يبلغ رفعة القدر، لأنه ذو قلة وذو اقلال ، ولأن مكانه خال الا من طيف يراه الناس ! وقال في موضع غيره :

ورجعت من سوق عرضت بضاعتي فيها بغبن
أفكان ذلك ذنبها ، أم كان ذنبي ، لا تسلني

فهو ، في تقديره ، قد عرضت بضاعته — ولا بضاعة له الا القوافي — في أسواق عكاظ فكان الغبن جزاءه ، سيان في ذلك أن يكون الذنب ذنبه او ذنب السوق ونواميسها او الشارين والماكسين من روادها .

ومن الشعراء الذين كان التواضع شيمتهم الشاعر محمود أبو الوفا الذي أنكر على نفسه كل صفة الا صفة « الانسان » ، فقال في بعض شعره :

يا صاحبي ، لا تسل عني أنا فأنا
يا صاحبي لست شيئاً غير انسان

كما ان الشاعر جورج صيدح عدّ نفسه — وهو في الشعر قمة — متطفلاً على عكاظ ، فقال في تواضع :

اني دخلت على عكاظ تطفلاً
لولا قيام العذر لم اتطفل

وهناك طائفة من الشعراء قد جردت نفسها من الفضائل وعزتها الى قومها ، كإيليا أبي ماضي الذي يفاخر أبداً بقومه ، ويرى انه أسد متى كان في عرينهم وان ناسه هم أعز الناس في البرية ، فيقول :

أنا بينهم اسد وجدت عريني
أنا بينهم ظبي وجدت كناسي
وطني أحب الي من كل الدنى
وأعز ناس في البرية ناسي

ومثله الشاعر القروي رشيد سليم الخوري القائل في وصف نفسه :

حامل فوق همه هم شعب
ساورته الخطوب من كل جانب

ولكن في الشعراء من حسب نفسه واحد الزمان وشاعر الكون ، والقائمة طويلة في القديم والحديث ، لأن من خصائص الشاعر ان يكون بارزاً في الجماعة ، مسموع الصوت على أعلى منابرها ، مرهوب الجانب ، فيورثه كل أولئك عنجهية تتراءى في شعره وتتعدد في منظوماته .

فالمتنبي قد بلغ اطمئنانه الى نفسه وتمكنه من الشعر واللغة حداً جعله ينام قرير العين عن شوارد الضاد ، تاركاً الخلق ساهرين جرّاها مختصمين حول ألفاظها ومعانيها ، فقال :

أنــــام ملء جفوني عــــن شواردها
ويسهــر الخلق جــراهــا ويختصم

أما البحتري فهو يهز بشعره حتى أشباه الأموات ، وينحت القوافي من مقاطعها ، ولا عليه اذا لم تفهم البقر ! فيقول :

أهز بالشعر أقــوامــاً ذوي وسن
في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا
عليّ نحت القوافي مــــن مقاطعهــا
ومــا عليّ لهم ان تفهــم البقــر

والشاعر أحمد شوقي لا يرى للشرق فرحاً ولا حزناً الا اذا كان شعره غناء في أفراحه ، عزاء في اتراحه فيقول :

كان شعري الغناء في فرح
الشرق وكان العزاء في احزانه

أما الشاعر بولس سلامه ، فيرى ان الزمان يعيش في نبراته وان العصور وان تراخت ستعود تسأل عنه معتذرة عن جحودها المجترح . أما المستكبرون الذين يشغلون الناس باخبارهم وأطوارهم فسيمضون في الزمان رمادا ، وهذه أبياته :

أنا صنو الشــلال في دولــة الفيض
ورجــع الهــديــر والصيحـــــات
سرت في زحمــة الحياة وحيــداً
وأضــــل المستكــبرين أنــــاتي
سوف يمضون في الــزمــان رمادا
ويعيش الــــزمــــان في نبراتي
وتعــــود العصور تسأل عــــني
كاسرات الجفــــون معتــذرات

أما الشاعر نزار قباني ، فله في وصف الذات شطحات كثيرة يحسن تصويرها بشعره الغنائي المتفرد . وفي ظنه انه يهدم الدنيا ويقيمها ببيت شارد من شعره ، فيقول :

أنــــا أهــدم الدنيا ببيت شارد
وأعمــر الدنيــا ببيت شــارد

والشاعر المهجري زكي قنصل يرى نفسه قائداً لكتيبة تضم جميع الشعراء ، فهو على رأسها القائد والسيد ، وهم من ورائه الجنود والأتباع فيقول :

أنــــا سيد الشعراء غير مــدافع
أمشي فتمشي خلفي الشعــــراء

كما ان الشاعر المهجري يوسف العيد لا يرتضي منزلة تقل عن امارة الشعر « ولو نق وزان » فيقول :

أمير بأشعاري ولــــو نــــق وزان
ونسر ولــــــو بالنعب تحتج غربان

أما الشاعر القروي رشيد سليم الخوري فله في المفاخرة بنفسه قول كثير ، وهو دائماً في حرب مع غيره من الشعراء مما يزخر به ديوانه الضخم . ومن ذلك قوله :

عدمت نظيري في وفــائــي لأمــتي
فقــل عشيري حين قــل مجــانسي

وقوله في موضع غيره :

ولكنني بلغت قــومي رسالــــــة
سيودعهــا التاريخ سفــراً مذهبــا

وقوله في موضع آخر :

أي فــــن من فنون الشعر لـــم
أقــــرع الأفــذاذ منــه بشرود

بيد أن الشاعر جورج صيدح لا يتحدث عن نفسه بل عن جمهرة شعراء المهجر ، فيقول :

لــو تعــرف الفصحى مدى خدمــاتنا
ضفرت لنا مــن شعرها اكليلا

والشاعر الدكتور أحمد زكي ابو شادي يرى في تكريمه تكريماً لأمم ، كما يعد نفسه أستاذاً للمفاخر في اجيال متعاقبة ورائداً حراً في مسعاه ومأتاه ، فيقول :

ان تكــرموني فقد أنصفتمــو أممـــا
عانت وضحت ومــــازالت بأرسان

ويقول في موضع آخر .

أنــــا المعلم اجيالا مفاخــرهــا
والــرائد الحـــر في سعيي وايثاري

والشاعر المهجري الياس فرحات هو من كبار ذوي العنجهيات ، وديوانه حافل بآيات الزهو الذاتي يسوقها في مواضعها من الحكمة الاخلاقية والحماسة الوطنية والمفاكهة المستملحة . ومن ذلك قوله وهو في « عليائه » :

أنا ليس يرفعني المــديح اذا همى
والشتم ليس يحط مــن عليائــي

وقوله وهو ساكن القنن والقمم :

حسبي وحسب المعالي ان يقال فــتى
نشء السفــوح تخطاهــا الى القنن

وقوله في وصف صراحته وجهارته :

وانــي لمطبوع على الصدق جاهـــر
بآياته والنصــــل في النصل يقطر

أقــــول لذي العينين ! انك مبصر
وللأعـــــور المغرور ! انك أعور

وايليا أبو ماضي بدوره يتعفف عن « سفاسف الشعراء » ويأبى ان يجاري القوم في المدح او وصف الدمى ، فيقول :

لا تسألوني المــدح او وصف الدمى
انــــي نبذت سفاسف الشعــراء

أما جورج صيدح فقد نذر قلمه لكبار المكرمات ووقفه على حومات العلى والجهاد ، فقال مخاطباً هذا القلم :

نذرتك للحــب والمكــــرمـــات
وللحومتين : العلــــى والجهـــاد

ومن الشعراء قوم لم يذهبوا مذهب المستعلين من الشعراء ولا ذهبوا مذهب المتضعين منهم ، وانما اقتصروا على تصوير رسالتهم الشعرية تصويراً أميناً ، وكأنهم يقررون حقيقة هم أول الذين يعرفونها عن دراية ومعاناة .

فالشاعر محمد عبد الغني حسن يقول عن نفسه :

أنــا شاعر أصف الدواء ولا ارى
في وصفه لغــوا ولا تأثيمـــا
أنــــا ناصح لو تسمعون نصيحتي
وحميمكم لـــو تقبلـــون حميمــا

كما يقول :

ومــــا أنــا الا شاعــر لا يغلّــه
حديد جماعـــات وقيــد جموع

والشاعر محمد مصطفى الماحي ، كعهده دائماً ، صارم في نواميسه الأخلاقية ، فيصورها بلسانه قائلاً :

ومــــا شيمتي نسج الرياء وانمـــا
أصوغ خصــال الحر عقداً وأنظم

وهكذا تتفاوت نفوس الشعراء كما تتفاوت أنفاسهم ، وتبقى للقارئين والنقاد دواوينهم يحكمون من مادتها على شاعريتهم ، ويضعون هذا في أولى المراتب وذاك في أخراها . والقارئون والنقاد بدورهم تتفاوت نفسياتهم وأذواقهم فلا يجمعون على أمر ولا يستقرون على قرار . وهكذا أمور الأدب جميعاً ، يختلف فيها ويختلف عليها ، ولا ضير . فالأدب فرع وارف الظلال من دوحة الفن ، والفن موصول بالعبقرية والابداع والالهام ، وهذه يطول فيها الحديث قولاً ورداً ●

وديع فلسطين — القاهرة

هُنَا انتَظَرْنَاه

على أمـلِ اللقـاء . . هنا انتظرنَاهُ
ظننّا أنّنا – حقّاً – سنلقــاهُ
أنـا والليـلُ والقمرُ المطـلّ هنـا
وموعِدُنَا . . بكينـا إذْ فَقَدْنَاهُ
وقـال لنا السكونُ ، وموكبٌ من حا
ثِرِ الأشواقِ ، إنّا قـد أضعنَاهُ
أضعناهُ . . رؤىً كالبسمةِ انطفأتْ
وأحلامـاً أطلّت عند مـرآهُ
ووَجْهـاً ريّقاً كالصبحِ طالَعَنَا
فأدْنَانَا ، وحيّانَـا مُحَيّـاهُ

* * *

مضى . . ما قالَ أغنيةً ، ولا ملأتْ
بحُلْوِ رُوَائِـهِ – عينيّ عيناهُ
كأحلى وردة قُطِفَتْ وعطّرنَـا
بها عيدٌ . . مَضَى ، ما كان أحلاهُ !
مضى . . ما شاء يسقي ظامئاً وهوىً
وَرَجْعَ صَدىً لصوتِ ما ألِفْنَاهُ !
كعَادتِنَا سَألْنَا عنهُ لهْفَتَنَـا
تَلفّتنا . أعدْنَا مـا سألناهُ !
وساءلَنَا الأنينُ خلال لهفتنَـا
تُرى باللهِ كيف - غداً - سَتَنْسَاهُ ؟
وكيف نقولُ إنْ طافتْ بنا الذّكرى
وأرّقنـا الحنينُ : أما نسيناهُ ؟ !

* * *

غداً نشتاقُ طلعتَه ، غداً نُرْخِي
عليه ظلالَ ذِكْرانـا ونرعـاهُ
غداً نُصغي إلى أصداء هـاتفِـهِ
وراءَ الغيبِ . . نُطْرِقُ عند نجواهُ
غـداً ماذا نقولُ له إذا امتـدّتْ
لنا يَدُهُ لتكْتُبَ مـا مَحَوْنَاهُ ؟
أضعناهُ ؟ ! نسيناهُ ؟ ! بأيّ يـدٍ
نقولُ لهُ ، ختمنَا مـا بدأنَاهُ ؟
بأي مـواقفِ النّجوى نواجهُهُ ؟
نكلّمُهُ ؟ ، ألسنَا قـد بكيناهُ
أجب يا حـائرَ الأعماقِ حيرَتَنَـا
فقد يَأسُو الجريحُ جريحَ بلـواهُ
فقالت دمعةٌ في القلبِ حـائـرةٌ :
هنا بالأمسِ كُنّا قـد رأيناهُ
هنا لبّـى نـداء الحبّ عطّرَنَـا
وهذا الدربُ – يوماً – قد عبرنـاهُ
طوَينا صفحـةً من عمرِنَـا وغداً
سنقلِبُ صفحةً أخرى لـذكراهُ

* * *

للشّاعر: فَارُوق بنجَر

وحدّثني جريحُ الصّدرِ عــن حلُمٍ ... تناثَرَ كالخريفِ . . وكــم رعيناهُ
وأومـــأ لي إلى أطلالِ أيكتـــهِ ... تُحدّثُ عــن بقايــا مــن بقاياهُ
هُنَا كم قد جلسنا رحبَ ساحتِهـَـا ... نُردّدُ ما كتبنا أو قرَأنـــاهُ
هُنَا في الظلّ عند «النّبعةِ» اعتنقت ... يدَانَا ، فاحتوتْ يُمْنَايَ يُمْنَاهُ
هُنَا التفّت يَدٌ بيــدٍ ونقّلتَـــا ... هــوى طِفلين ما عرَفَا خفايَاهُ
هُنَا انتقلتْ خُطَا طِفلين وانسربَتْ ... تُوزّعُ ظِلَّ مــا كانا أسرّاهُ
هُنَا عُصْفُورتَانِ تلاقتــا معنــا ... ووقّعتا لنــا لحنــاً عشقنـــاهُ
هُنَا في الرّملِ كانَ لنا يــدٌ رسمتْ ... مدى قلبينِ لم يمسسهُمَـــا الآهُ !
وقالت قُبلــةٌ حملت تلهفنَـــا ... أفيقَا ! ، فاشتكى شوقٌ كتمنَاهُ
عرَفْنَا الحُبَّ في الأعماقِ غائمةً ... وجرّبنـــاهُ صحواً حــين عشنـــاهُ
عرَفْنَا كيفَ يخلُو عــاشقانِ بهِ ... إذا التقيــا .. رَسُولُهُمَا نجيّاهُ
عرَفْنَا الحُبَّ أســراراً مُحجّبَةً ... ولم نُدرك بِأنّـــا من خطاياهُ

* * *

لِمَنْ أهدي الزهُورَ؟، لِمَنْ أقدمُها؟ ... لِمَنْ كأسٌ سأترعُهَا بذِكراهُ ؟
لِمَنْ شِعري يُغنّى بعد رحلتهِ ؟ ... ووجداني بُوَقّعُ في ثنـــايــاهُ ؟
على شَفَتيّ من شفتيْهِ رشفتُـــهُ ... وفي كفّيّ مِنْ كفّيهِ ريّـــاهُ
وعِندي مِنْهُ بَعضٌ مِنْ رسائِلهِ ... وباقــاتٌ حَوَتْ أحلـــى هدَايَاهُ
وفي عَيني خيالٌ لا يُفـارِقُنِـــي ... وفي قلبــي غرامٌ لَسْتُ أنســاهُ
وكيفَ اليومَ أمشِي دونَ رفقتــهِ ؟ ... وهــل يَحلُو طريقي دونَ مَسعَاهُ ؟
تَلفّتَ خاطِري في التّيــهِ يسألُهُ : ... متى سيعُودُ يا دربــاً مشينــاهُ ؟
غداً إنْ جاء يَسألُني ، وكيفَ أنـــا ... تُرَى مَاذا أقُولُ ؟ ، أقُولُ .. أوّاهُ !

فاروق بنجر – مكة المكرمة

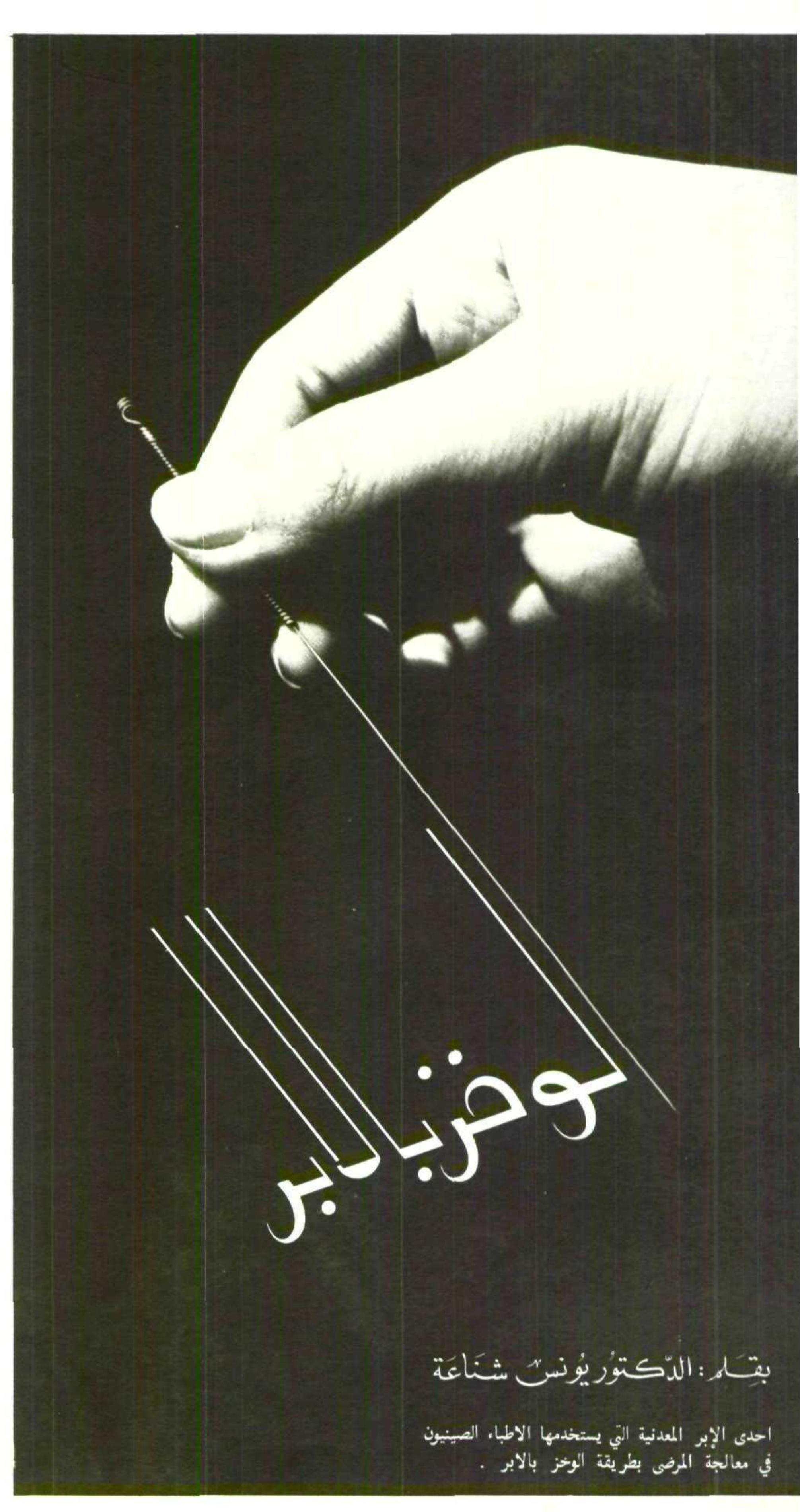
لعل أهم حدث في دنيا المعارف كان إدخال المنهج العلمي في البحث ، في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر للميلاد ، ذلك المنهج الذي يقوم على التجربة فالملاحظة فالإستنتاج باخضاع المواد قيد الدرس لعوامل ومؤثرات مختلفة تحت ظروف متغيرة .

بذلك وضعت الأسس الأولى للعلوم ، فكانت كفيلة بتطويرها تطويراً متسارعاً وصلت معه حداً يقف منه إنسان اليوم مذهولاً ذهول ما بين النوم واليقظة . ولقد أخذ الطب بالمنهج العلمي نفسه في كثير من مناحيه ، فامتزج فن التشخيص بعلم التداوي امتزاجاً متناسقاً آتى أكله وانتفع الانسان بالكثير من ثمراته . إلاّ أن حظ الطب من المنهج العلمي كان أقل من غيره من دنيا العلوم التجريبية أو شبه التجريبية ذلك لأنّ الطب يتعامل مع بني الإنسان حيث تحظر التجارب بمفهومها الدارج ، ولم تشف التجارب الجانبية على الكائنات الحية دون الإنسان غلة الباحثين .

بذلك ظلت في الطب ثغرات عجز عن سدّها ، لا سيما في المجالات التي تخلو من الموضوعية كالألم بشكل عام ، وحيث يعجز المنهج العلمي عن الإجابة عن تساؤلات الناس ينفتح الباب على مصراعيه لكل ما دون ذلك . ولعل أبرز ما عرف في دنيا المعالجة والمداواة كبديل للطب التقليدي ، نتيجة لذلك ، ثلاثة أمور ، هي : « طب معالجة العظام — Osteopathic Medicine » و « طب الشعوذة — Chiropractic » و « التداوي بالوخز بالإبر — Acupuncture » . وسوف أتناول في هذه العجالة الأمر الثالث والأخير الذي هو موضوع حديثنا :

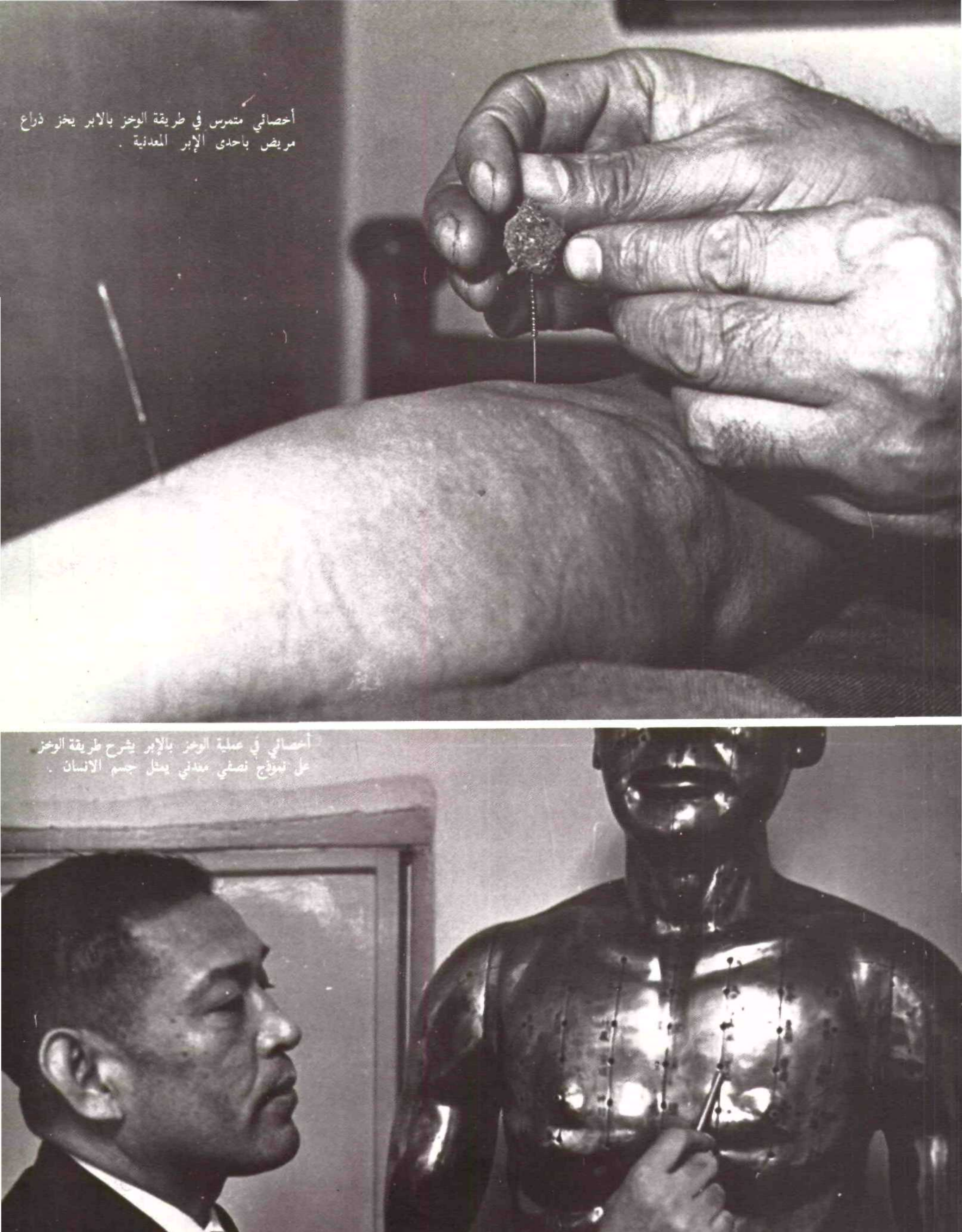
ما هو الوخز بالإبر؟

يُحكى أن جندياً صينياً أصيب بسهم في مكان ما من جسمه ، في قديم الزمان ، ربما قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وعلى الأثر أحسّ ذلك الجندي بتخدير في الحس في مكان آخر من جسمه بعيداً عن مكان إصابة السهم . وتذهب التكهنات إلى أن « أحدهم » ممن أوتوا حظاً وافراً من حبّ الاستطلاع ، فيما بعد ، كرر التجربة عامداً دارساً هذه المرة ، فأحسّ بمثل ما أحسّ به ذلك الجنديّ « المجهول » . ويرى بعضهم أن السهم المشار إليه كان ذا رأس حجري ،



بقلم : الدّكتور يونس شناعة

احدى الإبر المعدنية التي يستخدمها الاطباء الصينيون في معالجة المرضى بطريقة الوخز بالابر .



أخصائي متمرس في طريقة الوخز بالابر يخز ذراع
مريض باحدى الإبر المعدنية .

أخصائي في عملية الوخز بالإبر يشرح طريقة الوخز
عل نموذج نصفي معدني يمثل جسم الانسان .

معتمداً على ما ورد في قاموس صيني في عام ٢٠٠ ق . م . من أن كلمة « Pien » التي تعني أصلاً « الحجر المدبب » تعني أيضاً « الشفاء من الأمراض بالوخز بالحجر » .

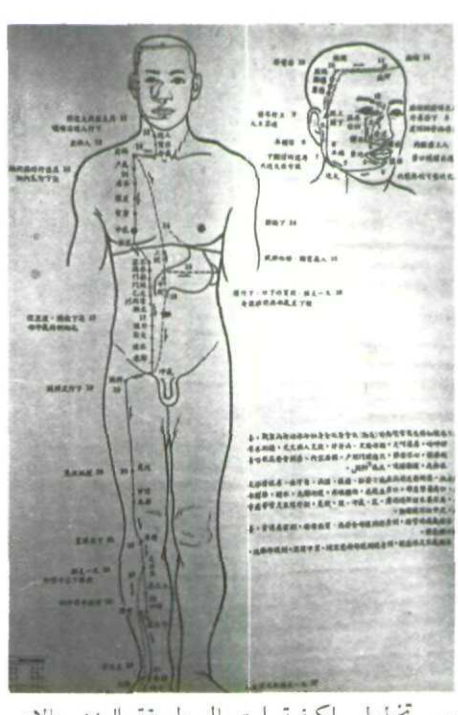
أما التسمية بالوخز بالإبر فمصدرها كلمة « Acupuncture » ، إذ أن المقطع – Acu اللاتيني الإشتقاق يعني « الإبرة » ، والسر في ذلك أن القدامى الذين تعاطوا هذا النوع من « التداوي » والمحدثين أيضاً ، يستعملون إبراً خاصة ، تتميز بالطول ، والدقة والمقبض الذي يمكّن المحترف من برم الإبرة مراراً وتكراراً كي تخترق الجلد في الموضع المحدد .

وقد اتسمت هذه المهنة ، باديء ذي بدء ، بالشعوذة الساذجة ، شأن الطب القديم في العالم ، خليط من السحر ، والصوفية والفلسفة ، فاعتقد أصحابها أن المرض هو إنعكاس لإضطراب نظام العناصر في الجسم أو المحيط ، ولا مجال بعد هذه النظرية للخوض في التفاصيل ، حيث جهل الأطباء آنئذ أسباب الأمراض ، بل وحتى طبيعة الجسم البشري وتشريحه .

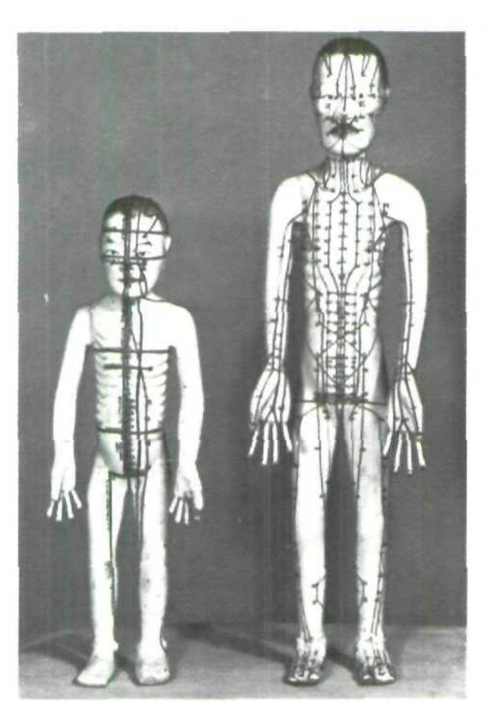
ولما كان الألم أكثر وأبرز ما يشكو منه الإنسان ، فقد تركزت عمليات الوخز على ثلاثة أمور ، هي : تخفيف الألم ، والتخدير في الجراحه ، والعلاج من شتى الأمراض .

أما كيفية استعمال هذه الإبر ، فتنحصر في أن المحترف أو الخبير يختار الموضع من الجسم أولاً ، وبالرغم من وجود خرائط سطحية كثيرة لجسم الإنسان تشير إلى المواضع المناسبة لكل حالة من حالات المرض ، أو من أجل التخدير تبعاً لنوع العملية الجراحية المعنية ، بالرغم من كل ذلك ، إلاّ أن اختيار الموضع من الجسم للوخز لا يقوم على معرفة بتشريح جسم الإنسان ، ولا يستند إلى منطق الصلة بين السبب والمسبّب .

بعد اختيار الموضع ، يتم تنظيفه أو تعقيمه (وقد لا يلجأ إلى ذلك ، أو قد يتم دون عناية) ثم تغرز فيه إبرة من الفولاذ الذي لا يصدأ يبلغ طولها عادة خمس بوصات تقريباً (ويعتبر استعمال هذا النوع من الإبر تطويراً في مادة الإبر) بحركة لولبيه تتم ببرم الإبرة ، باليد أو بجهاز كهربائي بسيط متصل بالإبرة ، أثناء إجراء العملية الجراحية – إن كان الوخز من أجل التخدير للجراحة – وتنزع الإبرة من مكانها بعد انتهاء العملية مباشرة ، ويتكرر الوخز كلما اقتضى الأمر . .



رسم تخطيطي لكيفية استعمال طريقة الوخز بالإبر في المعالجة الطبية .



شكلان مجسمان طبيان يستعان بهما في معرفة مواضع الوخز بالإبر .

وعلى توالي العصور ظل الوخز بالإبر وسيلة مهمة للتداوي من الآلام ، بشكل خاص ، لها أنصارها ومحترفوها في الصين ، حتى جاء القرن التاسع عشر حيث فقدت قيمتها أمام العلم الحديث ، الذي بهر الأطباء الصينيين الذين تلقوا علومهم الطبية في الغرب ، فمنع الوخز بالإبر في المدن الكبيرة ، غير أنه ظل حرفة متبعة في الطب الشعبي .

وفي نهاية العقد الخامس من هذا القرن تبنى الصينيون مرة أخرى حرفة الوخز بالإبر من جديد وبدأوا يتعاطونها بصفة رسمية في عام ١٩٥٨م .

مفعول الوخز بالإبر

ان الذين يؤمنون بفعالية الوخز بالإبر يعتقدون بأنه يشفي من كثير من الأدواء ، ويخفف الآلام أو يزيلها ، إلاّ أنّ الضجة الكبرى قامت وتقوم حول « السحر العجيب » و « السر الغريب » في قدرة هذه الإبر ، بوخزات معدودة ، على تخدير المنطقة المحددة لإجراء العملية الجراحية فيها ، فلا يحس المريض – الواعي أثناء العملية ! – بشيء ، وقد يتحدث إلى الممرضة أو الطبيب أو المحترف (المخدّر) كأن حد مبضع الجراحة يقطع في جسم شخص آخر !

وعلت الضجة ، وكثر اللغط حول تلك الحرفة بعد أن زار رئيس الولايات المتحدة الأميركية السابق ريتشارد نيكسون ، الصين عام ١٩٧٢م ، واصطحب معه لفيفاً من الأطباء الذين استجابوا لحب الاستطلاع العارم في نفوسهم ، يريدون تقصي حقيقة هذا الذي يسمونه « الأكيوبنكشر » ! وعلى أثر عودة هؤلاء الأطباء ، نشرت الصحافة هنا وهناك مقابلات مطوّلة ، حول الموضوع ، ما هو ؟ ما حقيقته ؟ وهل الأمر وهم أم واقع ملموس إلى آخر ما يخطر بالبال . وجاءت تصريحات هؤلاء متناقضة كما هو منتظر ، فبعضهم ادّعى أنه رأى العملية الجراحية تجرى في منتهى السهولة ، بوخزة في أذن المريض ، أو وخزتين ، والبعض الآخر رأى العملية والتخدير بالوخز يوديان بالمريض للتو واللحظة !

ونود هنا أن نؤكد أن السر في هذه الضجة يكمن في « تقاطع » ما يروى عن مفعول هذه الإبر مع المعقول والمعروف والمنطق ، وفي تناقض ذلك مع أبسط قواعد الطب الحديث وقضاياه الثابتة . فما هي حقيقة الأمر يا ترى ؟ الحقيقة التي يتوصل إليها الباحث بالاستقراء هي أن الوخز بالإبر ذو مفعول جزئي فردي في بعض

الأمور ، أي أنه ، باختصار ، يخفف ألم المتألم ، ويخدر الإحساس في بعض الحالات وفي بعض الناس ، ولا يشفي أياً من الأمراض ، بمفهومنا للمرض والشفاء .

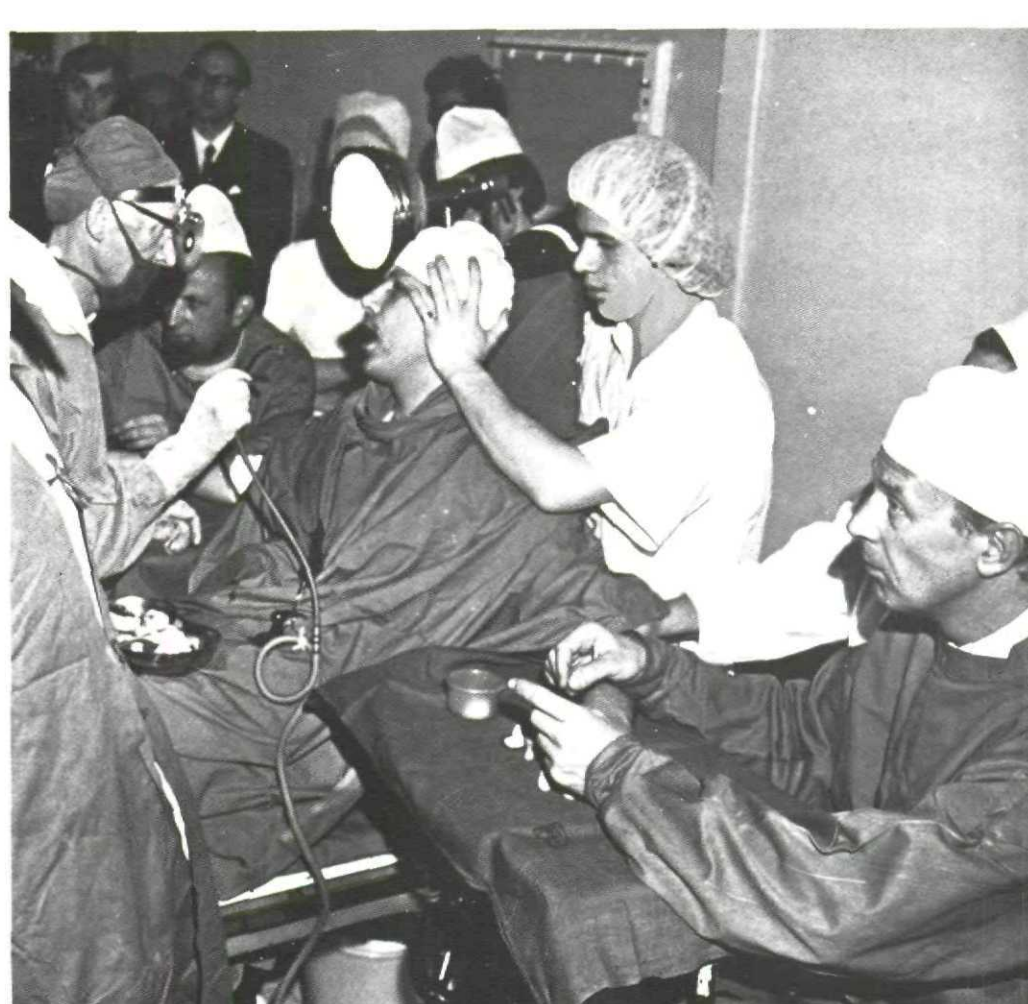
كيف يتم مفعول الوخز؟

يقول محترفو هذه الحرفة انهم لا يعرفون كيف يتم ذلك ، فهم منهمكون في إجراء التجارب على هذه الحرفة منذ سنة ١٩٥٧م ، ومع ذلك فهم « غير قادرين على إعطاء نظرية معقولة عن كيف ولماذا تعطي هذه الوخزات المعدودة مفعولها من تخدير ونحوه في مكان آخر من الجسم . »

على أن الدارس المتجرد المطلع على أوليات بسيطة في التشريح ، وعلم وظائف الأعضاء (الفسلجة) وخاصة تشريح ونظام الجهاز العصبي ، ليجد فارقاً بسيطاً جداً بين مفعول الوخز ومفعول الكي ، وبالتالي بين هذين وبين التداوي بالتعاويذ ونحو ذلك ، فكل ذلك قائم على الإيحاء في الدرجة الأولى ، ولا يحسبن القارىء الإيحاء أمراً فلسفياً أو « ميتافيزيقياً » غيبياً ، إنه واقع ملموس في حياتنا اليومية ، فالإحساس بحرارة الكرة المعدنية لمجرد الإيحاء بأنها حارة ، قصة مشهورة ، وارتعاش الجسم وارتعاد الفرائص والقشعريرة العارمة لمجرد تصور الإنسان من خلال الصور المتحركة للجو الماطر القارس البرد أو سقوط الثلوج ، كل هذه الأمور باتت معروفة ومشهودة لدى الإنسان . فالمرء الذي يعاني من ألم في مفاصله أو عضلات جسمه بسبب إعياء أو توتر أعصاب أدى إلى تشنج وتقلص في عضلات جسمه ، لترتاح نفسه وتطمئن ، فتسترخي عضلاته ، لمجرد اقتناعه بمفعول عبارات تكتب في قرطاس وتعلق في عنقه أو تدفن تحت عتبة البيت الذي يسكنه ، فيحس بالشفاء ، وتتم النتائج نفسها إذا اقتنع المريض بفعالية كيّ جزء من الجسم والإبقاء على الكي حيّاً مؤلماً عدة أيام ، كي يخف ألم شديد في الظهر أو إحدى الركبتين ، فالاعتقاد ، والإيحاء ، والفترة المحدودة لمعظم ما نعاني من آلام من هذا النوع ، والصبر والزمن ، و « التسلّي » عن ألم بألم مثله (أو كما قال من قال « تداويت عن ليلي بليلي كأنني »!) كلها كفيلة بتحقيق « الشفاء » .



طبيب نمساوي يمارس طريقة الوخز بالإبر في تخدير أحد المرضى قبيل البدء باجراء عملية استئصال اللوزتين .



فريق من أطباء الجراحة النمساويين يستخدم طريقة الوخز بالإبر كوسيلة تخدير في عملية استئصال اللوزتين لأحد المرضى في فينا ، وقد تمت العملية بنجاح .

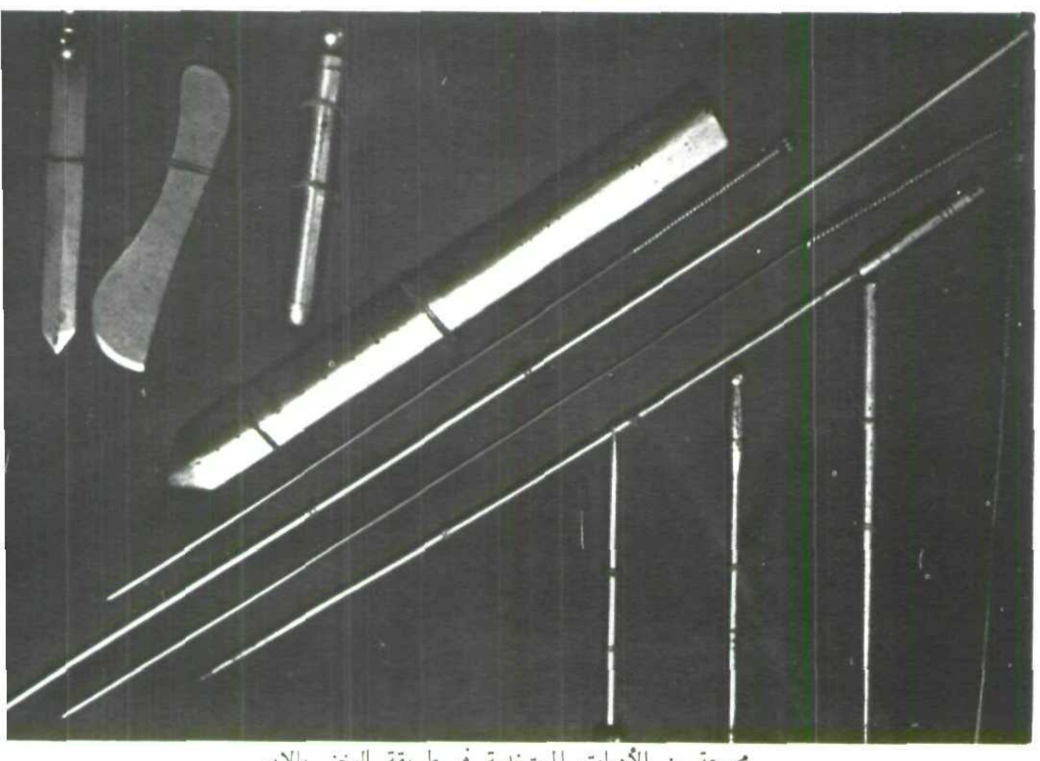
بأن « مجمّع الأحاسيس النهائي — Relay Center » هو في قشرة الدماغ التي بها نفكر ، فالرؤية ، والسمع ، والحس باللمس والألم والحر والبرد و . . . مردّها إلى « قشرة الدماغ — Cerebral Cortex» وهذه قد تعطل حتى الرجوع الفطرية في الإنسان « Reflexes » ، فنحن نعرف كيف يستمرىء البوذي طعم المسامير تخز جلده وخزاً ، وكيف يقبض المغامر على الجمر ، وكيف تلقي الأم بنفسها في مهاوي الردى ، وكيف يستعذب الرجل الموت فداء ، دون أن يصرخ من ألم الحر أو الوخز ، أو أن يهرب فراراً بنفسه وإبقاء على حياته ، مع أن كل هذه أمور بيولوجية فطرية .

لذلك فإنّ الاعتقاد بامكان الشفاء ، أو بحصول المفعول المنتظر ، وإلهاء الجسم بالإحساس بالوخز الآني أو المستمر فيما يتعرض جزء آخر لإجراء مؤلم كالجراحة ، هذا الاعتقاد هو العامل الرئيسي في تحقيق ما يتحقق من تخدير أو تخفيف للألم . نقول ذلك لعلمنا بأن هذه الإبر الخاصة لا تنغرز في وعاء دموي معين ، أو عصب خاص ، حتى يمكن تفسير صلة السبب والمسبب . كما أن هذه الإبر مصنوعة من معدن خامل ، لا يتكهرب ولا يتأيّن لدى انغماسه تحت الجلد ، فهو من الفولاذ الذي لا يصدأ ، أي أنه غير متغير كيماوياً أو كهربائياً ، فلا ينتظر أن يحدث أي تغيير في الأنسجة التي تلامسه ، مهما كان نوعه .

ولا بد من توفر هذا الاعتقاد لدى المريض كي يؤدي الوخز مهمته ، فليس كل مريض أهلاً للوخز ، ولا يتم التخدير بالوخز فجأة ودون تحضير المريض نفسياً ، فالتخدير بالوخز لا يستعمل في الحالات الطارئة ، تماماً كما أنّ المنوّم المغناطيسي لا يستطيع تنويم أياً كان ، ولا الكي أو التميمة تخفي الألم بمجرد وجودها .

ورد في تقرير نشرته جريدة « النيويورك تايمز » حديثاً أن التداوي بالوخز على الطريقة الصينية قد جرّب في الاتحاد السوفياتي خلال الخمس عشرة سنة الفائته ، في أمور طبية مختلفة كقرحة المعدة ، والربو والإمساك وارتفاع ضغط الدم .

فكانت نسبة « الشفاء » من حوالي عشرة آلاف مريض في ٣٧ مدينة هي ٣٢٫٧ في



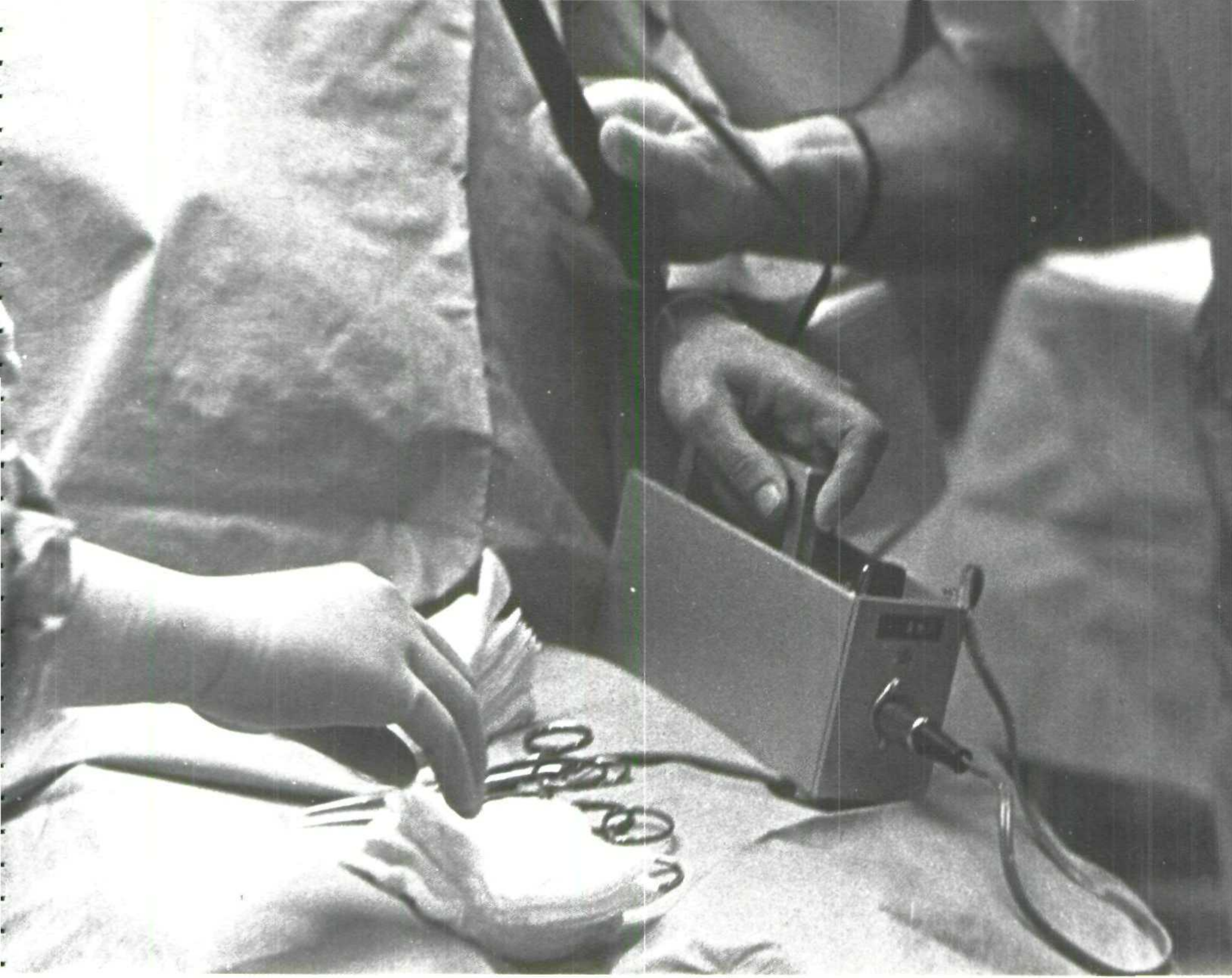
مجموعة من الأدوات المستخدمة في طريقة الوخز بالإبر .



شكل نصفي لجسم إنسان من المعدن تتخلله نقاط سود تمثل مواضع الوخز بالإبر .

أخصائي في ممارسة طريقة الوخز بالإبر يقوم بوخز إبرة في ذراع أحد المرضى .

أحد المرضى وقد وخز ساعده بابرتين معدنيتين .

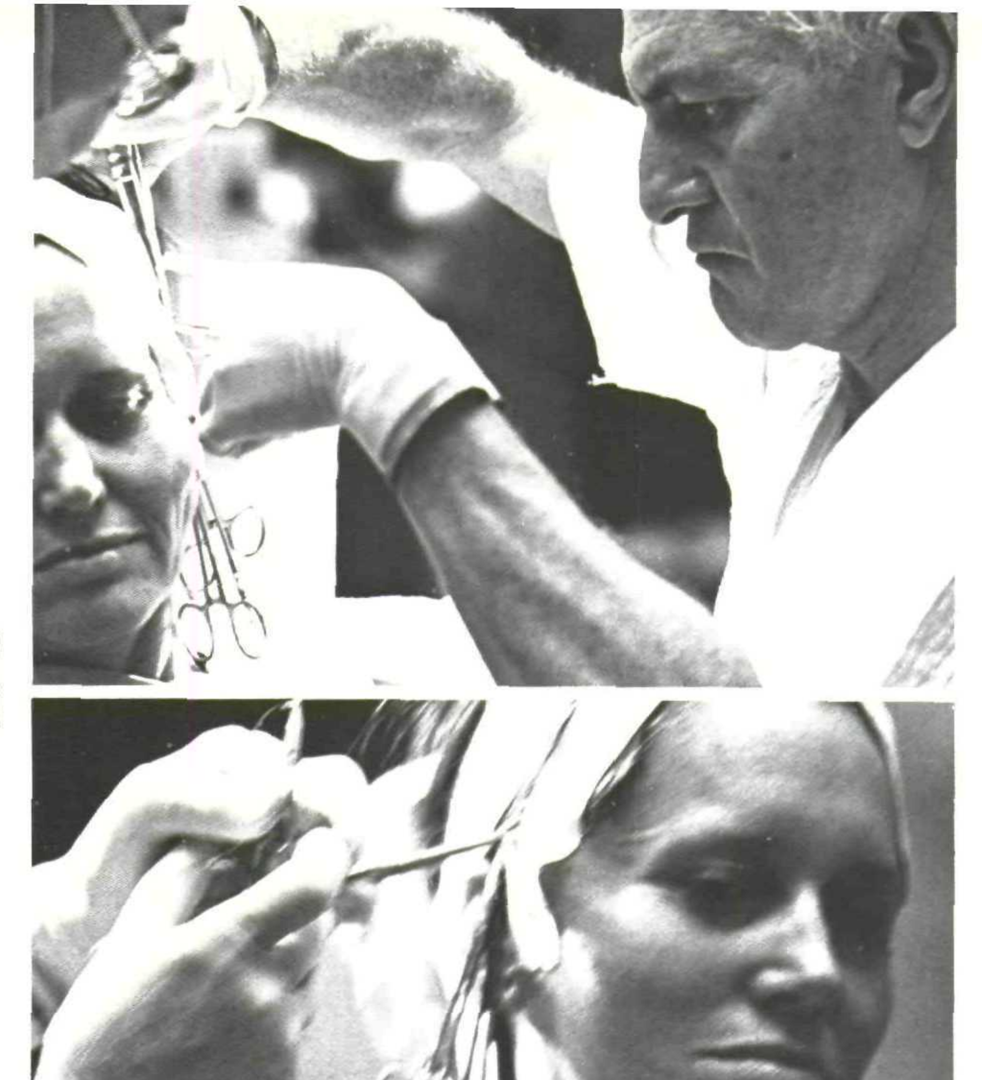


جانب من عملية تجميل يجريها أحد الأطباء الأخصائيين مستخدما فيها طريقة الوخز بالإبر .

المائة . وقد ادعت دراسات أخرى أن حوالي ٥٠ في المائة استفادوا من الوخز . ومن المعلوم أن نسباً مئوية مماثلة يمكن تحقيقها فيما لو تعاطى هؤلاء المرضى علاجاً كاذباً «Placebo» ، وأود أن أضيف إلى هـذا التقرير حقيقة طبية مهمة وهي أن الحالات المرضية الأربع المذكورة في التقرير هي حالات « نفسية — عضوية — Psychosomatic » معروفة في الطب ، أي أن أصحابها قد « يشفون » أو « يستفيدون » بالإيحاء والترويح عن النفس والتطمين والتحليل النفساني على يد « طبيب نفساني — Psychiatrist » .

ومن أطرف ما يروى في هذا الصدد ما حدث في مؤتمر مؤسسة التهاب المفاصل ، في الجلسة العلمية السنوية التي عقدت في حزيران ١٩٧٣ بلوس أنجيلوس بكاليفورنيا ، حيث بحثت مقالتان عن دور الوخز بالإبر في علاج التهاب المفاصل وقد جاء في واحدة منهما أن باحثين كنديين وجدوا أن الوخز يخفف من الألم مدة أطول قليلاً من مفعول الكورتيزون (العلاج الفعال في التهاب المفاصل وأمراض كثيرة أخرى) ، غير أن ذلك صاحبه زيادة في درجة الالتهاب (التي يخففها الكورتيزون) . أي أن المرض ازداد سوءاً فيما خف الألم نوعاً ما . ومثل تلك النتيجة يلاحظ في حالات متشابهة إذا ما استعمل الوخز الكاذب كأن تغرز الإبر في غير المواضع المعتادة ، ولا تبرم ، أي أن كثيراً من التحسن المذكور تحقق بالإيهام ! ومن المساوىء التي تنطوي عليها حرفة الوخز بالإبر :

- **الإيلام** : ولعله أبسطها . فلقد أكد أشخاص متجردون جربوا الوخز بأنفسهم بأن الوخز مؤلم ، بل ومؤلم جداً أحياناً .
- **العدوى** : وذلك بإدخال الجراثيم تحت الجلد وإلى عروق الدم ، تماماً كما يفعل المسمار المتلوث إذا إخترق جلد إنسان ، ومعروف أن كثيرين من محترفي هذه الصنعة ، وخاصة في الأرياف الصينية ، لا يعقمون إبرهم ولا مواضع الوخز ، فأبسط العدوى في هذه الحالات حدوث الدمامل ، ومنها ما أدى إلى التهاب الكبد تماماً كالذي يحدث من جراء تعاطي حقن المخدرات في العضل أو تحت الجلد أو



أخصائي في جراحة التجميل يستخدم أسلوب الوخز بالإبر كمخدر في عملية تجميل يجريها لإحدى النساء في فينا .

تصوير : « اوثنتكاتد نيوز »

في عروق الدم مباشرة ، لدى المدمنين .

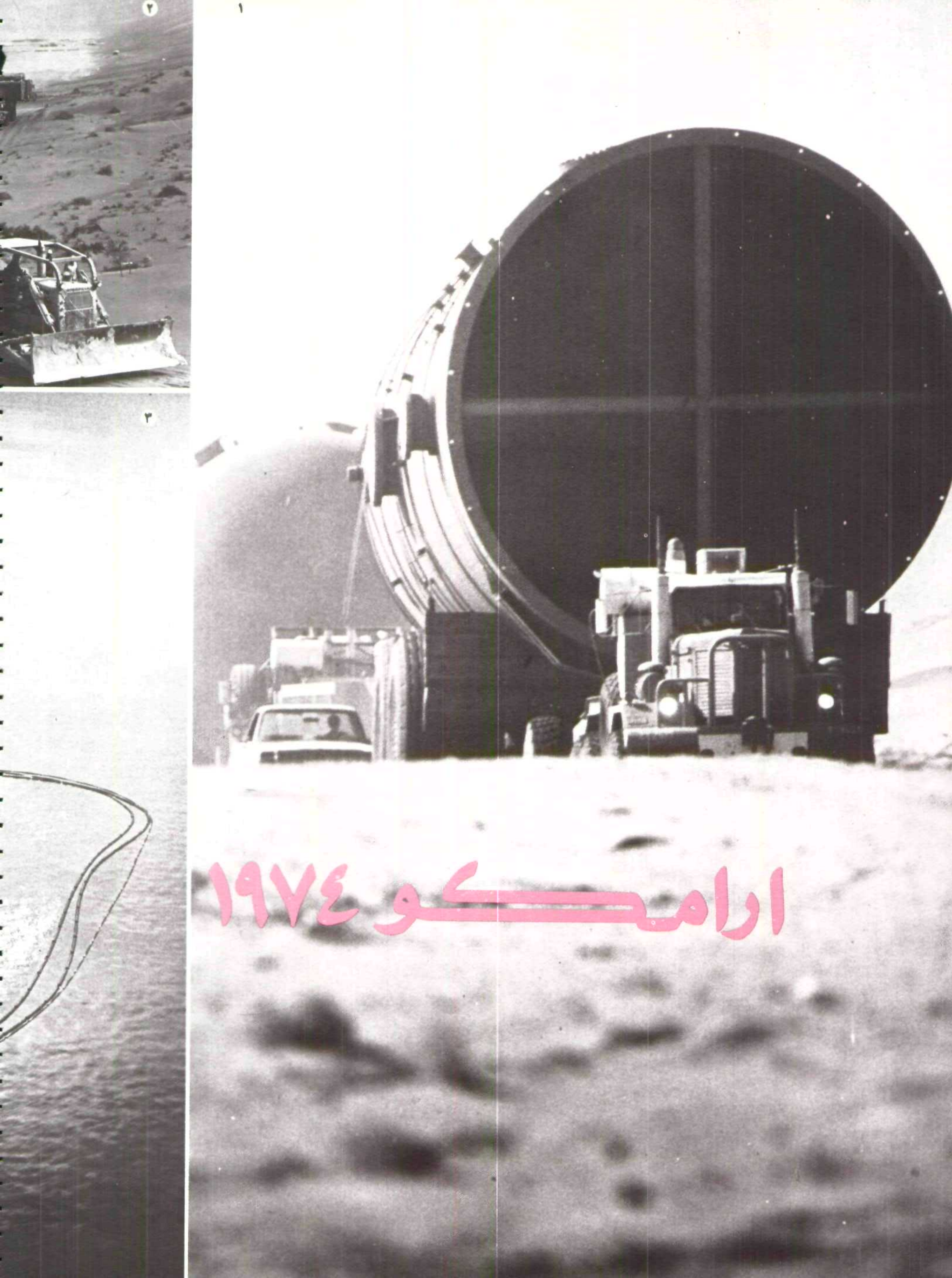
• الوفاة : فلقد روى شهود عيان كيف مات أكثر من مريض من جراء الوخز بالإبر ، وأرباب هذه الحرفة لا ينكرون أن الوخز بالإبر قد يودي بحياة المرء « إذا أسيىء استعماله » .

ولكيلا نترك في أذهان القراء شبهة أن الوخز بالإبر فعال في الجراحة كمخدر ، نورد ما نشرته « الأسوشيتيد برس » على لسان البروفسور « مارسل جمبرل » رئيس معهد التخدير بجامعة « جنيف » من أنه — وزملاء له ثلاثة — لم يروا حالة واحدة في الصين تحقق فيها التخدير الكامل لدى الجراحة . كما أن أطباء زائرين رأوا فشل التخدير بأم أعينهم ، واللجوء إلى العقاقير المنومة المعروفة لتساعد على ذلك مما يقود إلى التساؤل : « أيهما الذي خدّر يا ترى ، الوخز أم العقاقير ؟ »

والتقارير الطبية المتوفرة من الصين لا تشفي الغليل ، فالتحسن والفشل والشفاء ، فيها ، كلمات مطاطة غامضة ، تبعث على الشك والتكذيب وتضطر دارسيها إلى إعطاء الصدفة والإيحاء دوراً رئيسياً ، وإلاّ فلماذا لا يصلح الوخز بالإبر كمخدّر في الأطفال ؟

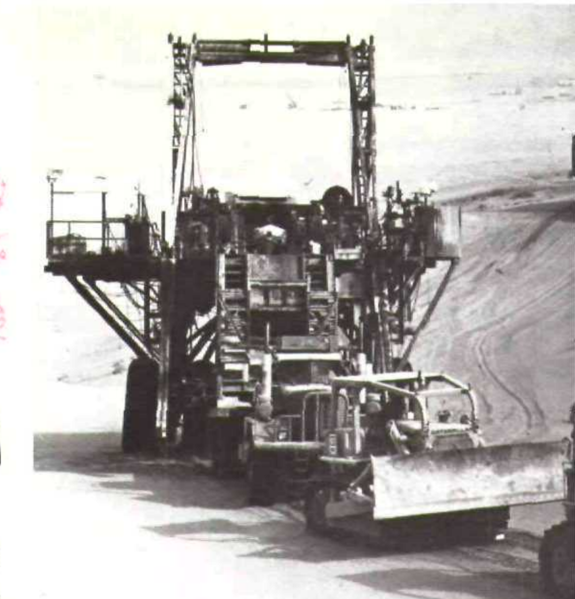
ولعل أفضل ما نختم به مقالتنا هذه ما ألمح إليه بروفسور أمريكي في هذا الصدد بقوله : « يساء فهم الوخز بالإبر ويبالغ فيه إلى حد كبير ، وتثور حوله هيستيريا شعبية كبيرة ، حتى بين الأطباء . إنّ الوخز لا يعطي أكثر من ٥٠ في المائة من المفعول — تماماً كما تعطي برشامة من سكر — وهو شبيه بما لو صفعت طفلاً يشكو من ألم في قدمه على وجهه ، فالصفعة تنسيه ألم القدم . أضف إلى أن الوخز لا يعطى لفترة تقل عن شهرين أو ثلاثة ، ولا تنسى أن الزمن وحدة كفيل بالشفاء أحياناً » . ولقد وجد البروفيسور نفسه « أن الذين يفيدون من الوخز هم أكثر الناس إستعداداً للتلقي بالإيحاء » . ●

د . يونس شناعة — عمان



١
٢
٣
ارامكو ١٩٧٤

جرياً على عادة أرامكو في نهاية كل عام ، تصدر استعراضاً سنوياً لأبرز الأعمال التي تنجزها خلال عام ، وفيما يلي مقتطفات لأبرز ما انطوى عليه استعراض عام ١٩٧٤ والذي حفل بالنشاطات والانجازات في مختلف المجالات .



أعمال الزيت

بلغ مجموع ما أنتجته أرامكو من الزيت الخام خلال العام ٢٩٩٦٠٥٤٢٥٥٨ برميلا ، أي بمعدل مقداره ٨٢٠٩٧٠٦ براميل في اليوم . وقدر احتياطي الزيت الخام المرجح وجوده في منطقة امتياز أرامكو عند نهاية العام بحوالي ١٧٢,٥ بليون برميل ، والثابت وجوده – ويشمل الاحتياطي المرجح وجوده – بحوالي ١٠٣,٤ بليون برميل .

كان من أبرز التطورات التي حدثت خلال العام تحميل أول ناقلة بترول في الجعيمة ، وهي أحدث فرضة لشحن الزيت أنشأتها أرامكو في الخليج العربي . وقد بدأ الشحن من نقطة التحميل الجديدة هذه على مسافة ٣٣ كيلومترا تقريبا إلى الشمال من فرضة رأس تنورة . ولهذه الفرضة طاقة تحميل أولية تبلغ مليون برميل في اليوم تشحن في ناقلات ترسو على بعد حوالي ١٣ كيلومترا من الشاطيء عند عوامتي إرساء منفرد ، وهي تضم ساحة خزانات تشمل ثلاثة صهاريج لتخزين الخام سعة الواحد منها ١,٢٥ مليون برميل وصهريجا لتخزين وقود السفن سعته ٢٥٠٠٠٠ برميل . وهناك مضختان للشحن ، تُدار كل منهما بمحرك قوته ١٦٠٠٠ حصان . ويُضخ الزيت الخام من الجعيمة عبر خط أنابيب قطره ٥٦ بوصة يمتد تحت الماء الى منصة لتحميل الزيت تقع على مسافة ١١ كيلومترا من الشاطيء . وتشمل المرحلة الثانية من أعمال الإنشاء الجارية في الجعيمة إقامة ثلاثة صهاريج أخرى لتخزين الزيت الخام سعة الواحد منها ١,٢٥ مليون برميل ، ومضختي شحن إضافيتين ، وصهريج آخر لتخزين وقود السفن سعته ٢٥٠٠٠٠ برميل ، كما تشمل أيضا بناء خط آخر لتحميل الزيت الخام قطره ٥٦ بوصة يمتد إلى منصة تحميل الزيت ، وعوامة إرساء منفرد ثالثة .

وفي مجال التنقيب أضيفت فرقتان جديدتان إلى الفرق البرية ، كما بدأت فرقة ساحلية تساندها حوامتا « هوفركرافت » ، أعمالها على أساس عقد محدد المدة ، وبذلك أصبحت مجموعة التنقيب تتألف من سبع فرق للمسح السسموغرافي البري وفرقة ساحلية تساندها الحوامتان . وقد دعمت فرقتان من فرق التنقيب بطائرتي هليكوبتر كبيرتين تتسع الواحدة منهما لثلاثة عشر راكبا وطائرة هليكوبتر صغيرة تتسع لأربعة ركاب من أجل مسح الجبال الرملية في الجزء الشرقي من صحراء الربع الخالي . أما الفرق البرية الخمس الباقية فقد قامت بأعمال التنقيب في الأجزاء الشمالية والوسطى والساحلية والجنوبية من المنطقة المحتفظ بها رقم – ١ ، بينما كانت الفرقة الساحلية تعمل بمحاذاة شاطيء الخليج العربي .

ومن ناحية أخرى اكتشف حقل جديد على اليابسة هو حقل رمثان على مسافة ٩٥ كيلو مترا إلى الشرق من القيصومة . وأكدت بئر ثانية حفرت هناك بأن هذا الحقل يحتوي على تجمعات هامة من الزيت . كما تدفق الزيت إلى السطح أثناء الاختبارات الأولية من الآبار التنقيبية التي حفرت على اليابسة في منطقة بكر على مسافة ٣٥ كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من حقل جريبيعات ، وفي منطقة الرملة على مسافة ٤٠ كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من الشيبة في الربع الخالي ، كما تدفق من بئر تنقيبية حفرت في منطقة كرين المغمورة الواقعة على مسافة ٤٠ كيلو مترا إلى الشمال من حقل البري . ومن المقرر



١ – سيارات النقل الضخمة تقطع الصحراء حاملة أجزاء من وعاء للضغط الى أحد حقول الزيت النائية .

٢ – جهاز حفر كامل ينقل عبر الصحراء بقافلة تتقدمها جرارات الرمال وتتبعها سيارات جرارة ضخمة .

٣ – الناقلة « إسو اندونيسيا » ، وهي أول ناقلة حملت من فرضة الجعيمة بالزيت السعودي ، وتبلغ حمولتها القصوى ٢٥٧٠٠٠ طن .

إجراء المزيد من الاختبارات لمعرفة إمكانات الإنتاج من هذه المناطق الثلاث . هذا وقد تم خلال العام حفر ٣٠٠ بئر لإنتاج الزيت والمحافظة على الضغط ولأغراض التحديد والمراقبة وتقويم نتائج التنقيب في الطبقات البعيدة الغور ، بالإضافة الى ٦٠ بئرا أخرى حفرت لتأمين الماء لأعمال الحفر ولأغراض المراقبة .

وللمحافظة على إنتاج الزيت وضغط المكامن بدأت أرامكو خلال العام بتشغيل ١٢ منشأة جديدة لحقن الماء في حقل البري وفي منطقتي شمال عين دار والعثمانية من حقل الغوار ، فزادت بذلك طاقة الحقن نحو ٣٫٢ مليون برميل في اليوم ، وبذلك بلغ مجموع طاقة مرافق أرامكو لحقن الماء ٩٫٣ ملايين برميل في اليوم من الماء غير الصالح للشرب مما وضع أرامكو في مقدمة الشركات العاملة في صناعة الزيت في مجال المحافظة على ضغط المكامن .

ومن جهة أخرى ، أنجز عند الطرف الشمالي من حقل الغوار ، مشروع عين دار – فزران ، بما في ذلك بدء تشغيل معمل فزران رقم – ١ لفرز الغاز من الزيت ، وهو معمل صمم لإنتاج ٥٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم . ويشمل هذا المشروع أيضا إضافة مرافق جديدة طاقتها ٢٥٠٠٠٠ برميل يوميا إلى معمل عين دار رقم–٢ لفرز الغاز من الزيت حيث يعالج خام فزران بوحدة الكتروستاتية لنزع الأملاح . ويمكن نقل ٦٠٠٠٠٠ برميل في اليوم عبر الأنابيب إلى معمل للتركيز في منطقة معامل الجعيمة ومنها الى فرضة الجعيمة الجديدة أو إلى مرافق رأس تنورة .

ومن ضمن معامل فرز الغاز من الزيت التي أنشئت خلال العام ، بالإضافة إلى مشروع عين دار – فزران ، معمل العثمانية رقم – ١٣ الذي جرى اختباره واعداده للعمل في سبتمبر ، ويُنتظر أن يبدأ تشغيله في أوائل عام ١٩٧٥ بطاقة قدرها ٢٠٠٠٠٠ برميل في اليوم . كما وسع معمل السفانية رقم – ١ في أكتوبر توسعة بدأت الإفادة منها جزئيا ، والهدف منها زيادة طاقة المعمل من ١٢٥٠٠٠٠ برميل في اليوم إلى ١٤٣٠٠٠٠ برميل . وبالإضافة إلى عمود التركيز الجديد في الجعيمة زيدت طاقة التركيز خلال العام بإضافة العمود رقم – ١٦ في بقيق وإنجاز المرحلة الرابعة في محطة الضخ رقم–٦ في بقيق أيضا . وقد مدت أرامكو خلال العام ٤٧١ كيلومترا من خطوط الأنابيب الرئيسية للزيت والمنتجات . وازداد إنتاج أرامكو من سوائل الغاز الطبيعي خلال العام فبلغ في مجموعه ٥٠٢٣٥٦٢٠ برميلا أي ما متوسطه ١٣٧٦٣٢ برميلا في اليوم ، وهذا يمثل زيادة سنوية قدرها ١٤٧٨٥٩٢٥ برميلا على الكمية التي انتجت خلال السنة السابقة وقدرها ٣٥٤٤٩٦٩٥ برميلا . وقد جاءت هذه الزيادة نتيجة لإنجاز منشأة في مجمع مرافق معالجة سوائل الغاز الطبيعي في بقيق . وفي نهاية العام كانت أرامكو قد شرعت في بناء منشأة أكبر للضغط في بقيق بقصد رفع الإنتاج الحالي من سوائل الغاز الطبيعي بنحو ٦٥ في المائة .

وفي رأس تنورة أنجزت منشأة ثانية لضغط الغاز ومعالجته وهي تستطيع انتاج مابين ٢٧٠٠٠ و ٣١٠٠٠ برميل من سوائل الغاز الطبيعي في اليوم . كما انجزت أيضاً في رأس تنورة منشأة لتبريد غاز البروبان تلقائياً ومنشأة لاستخلاص بخار البوتان . وتم في مدة تزيد قليلاً على سنة تصميم وإنشاء معمل للإسفلت في رأس تنورة طاقته ٥٠٠٠

١ – أحد أبراج الحفر العاملة في منطقة امتياز أرامكو .



٢ – عدد من الموظفين السعوديين الذين أكملوا دورة أو أكثر من دورات التدريب على الإدارة خلال عام ١٩٧٤ .



٣ – أمكن تطوير هذا النوع من شمندر السكر بفضل التعاون القائم بين وزارة الزراعة والمياه والقائمين على برنامج المساعدة الزراعية في أرامكو .

برميل في اليوم،وقد أنشيء كوحدة متكاملة وبدأ تشغيله في شهر نوفمبر . وسيساعد هذا المعمل على سد الطلب المتزايد في المملكة على الإسفلت ويرفع طاقة إنتاج ارامكو من ٦٠٠٠ إلى ١١٠٠٠ برميل في اليوم .

وفي يونيه بدأ تشغيل وحدة ثالثة لتحلية الماء بالتبخير السريع في رأس تنورة . وبفضل هذه الوحدة الجديدة التي تبلغ طاقتها ١٥٠٠٠٠ رطل من الماء في الساعة زاد إنتاج الماء المقطر للمعامل والاستعمال المنزلي في المنطقة بنسبة ٢٥ في المائة .

وفي مجال شحن الزيت حملت خلال العام ٤٤٧٠ سفينة من فرض أرامكو على الخليج العربي بما مقداره ١٠١ ١٣٤ ٨٦٤ ٢ برميل من الزيت الخام والمنتجات المكررة . وأضيف خلال العام إلى أسطول أرامكو من المراكب الصغيرة ثمانية قوارب .

وبديء خلال العام بانشاء شبكة لحقن الماء تستخدم ضغط الغاز في دفع الماء من الآبار .

وهذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها أرامكو في أعمالها مثل هذا الأسلوب لحقن الماء . ويجري العمل في إقامة ست محطات لضغط الغاز في جنوب منطقة العثمانية — الحوية من حقل الغوار . وسيحقن الغاز المضغوط بعد أن يمر بعملية تحلية في حوالي ٤٠ بئراً من آبار الماء لرفع مزيج من الغاز والماء إلى سطح الأرض .

ارامكو وموظفوها

الموظفون

بلغ مجموع موظفي أرامكو العاملين في المملكة العربية السعودية في نهاية العام ١٥٦٥٧ موظفاً منهم ١١٩٩٥ موظفاً سعودياً . وقد التحق بخدمة الشركة خلال العام ١٧٥٧ موظفاً سعودياً أي بزيادة ١٧٫٢ في المائة على عدد الذين التحقوا في العام السابق .

وبلغ متوسط الدخل السنوي للموظف السعودي ٢٥٥١٧ ريالاً ، أي بزيادة ١٦٫٢ في المائة على العام السابق . وبلغ عدد الموظفين السعوديين الذين اشتركوا في نظام الادخار في الشركة واختار معظمهم استثمار مدخراتهم حوالي ٨٥٠٠ موظف .

أما في مجال التدريب فقد اشترك خلال العام أكثر من ٤٧٠٠ موظف سعودي بما فيهم المتفرغون للتدريب في « برنامج التدريب الصناعي » — في برامج تدريبية تشرف عليها إدارة التدريب في الشركة . واشترك أكثر من ٧٨٠ من هؤلاء في برامج التدريب في العمل .

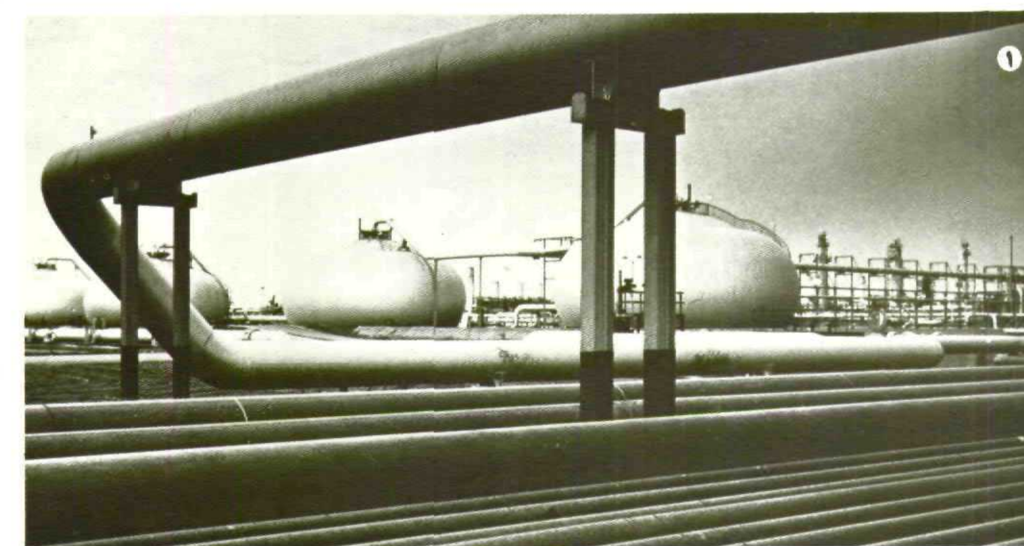
وافتتحت خلال العام مبان في الدمام والأحساء تضم مرافق تابعة لمراكز التدريب الصناعي وورش التدريب الصناعي للمتدربين المتفرغين في هاتين المنطقتين .

وفي نهاية العام كان ٢٦٨ موظفاً سعودياً قد أكملوا دورة أو أكثر من الدورات التي نظمتها الشركة في نطاق التدريب على الإدارة . وقد شغل الموظفون السعوديون ٣٦٦ من المناصب الرئاسية البالغ مجموعها ٨٢٠ ، أي بزيادة ٢٣٫٢ في المائة عن العام السابق .

وفي شهر أكتوبر حوّلت الشركة جميع المتدرجين باختيارهم إلى موظفين منتظمين . وبلغ عدد الملتحقين « ببرنامج التدريب الصناعي » خلال العام ٢٠٢٥ ، في مقابل ١١٨ في عام ١٩٧٠ ، وهي السنة الأولى لما كان يعرف سابقاً « ببرنامج التدرج » . ومنذ ذلك الوقت وظفت الشركة ٩٩٢ من الذين اشتركوا في « برنامج التدرج » و « برنامج التدريب الصناعي » للعمل فيها كموظفين منتظمين .

وبلغ مجموع ما انفقته الشركة على برامج العوائد للموظفين السعوديين خلال العام ١٣٦٥٠٧٣٠٠ ريال سعودي . ويشمل هذا المبلغ ما دفعته الشركة في حالات التقاعد والإقعاد الدائم أو الوفاة ومكافآت إنهاء الخدمة والمكافأة على المدخرات والخدمة المستمرة وما انفقته ضمن برنامج العناية الطبية والوقاية الصحية .

وبلغ مجموع الموظفين السعوديين الذين تملكوا بيوتاً بقروض من الشركة بموجب برنامج تملك البيوت خلال العام ١٩٣ موظفاً فارتفع بذلك عدد الذين تملكوا بيوتاً بموجب هذا البرنامج منذ بدء تنفيذه في عام ١٩٥١ حتى نهاية العام إلى ٨٤١٣ موظفاً سعودياً ، كما بلغ مجموع القروض الممنوحة بموجب هذا البرنامج حوالي ٣٠٠ ٥٠٣ ٢٣ ريال سعودي .



١ — شبكة من خطوط الأنابيب الممتدة في المنطقة الصناعية في بقيق والخاصة بنقل الزيت الخام من الحقول الى معمل التكرير والفرض .

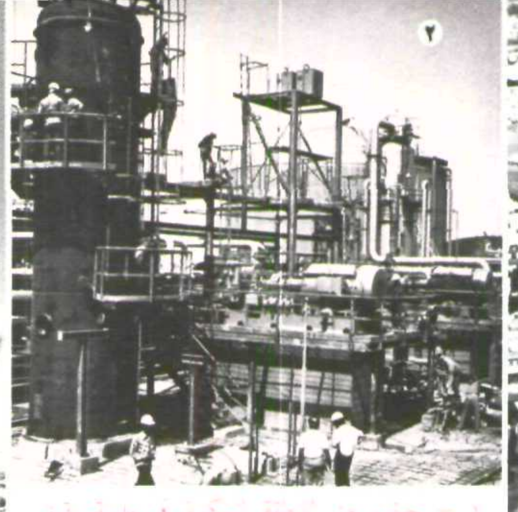


٢ — اثنان من الفنيين السعوديين يقومان بفحص معدات انتاج الزيت في أرامكو بصورة دورية .

تصوير : برنت موني ، وشيخ أمين







١ – جانب من المنطقة السكنية في مدينة بقيق التي تضم بيوتا يملكها الموظفون السعوديون بموجب برنامج تملك البيوت في الشركة .

٢ – منشأة جديدة للضغط أنشئت في بقيق لزيادة إنتاج سوائل الغاز الطبيعي بمقدار حوالي ١٥٠٠٠ برميل في اليوم .

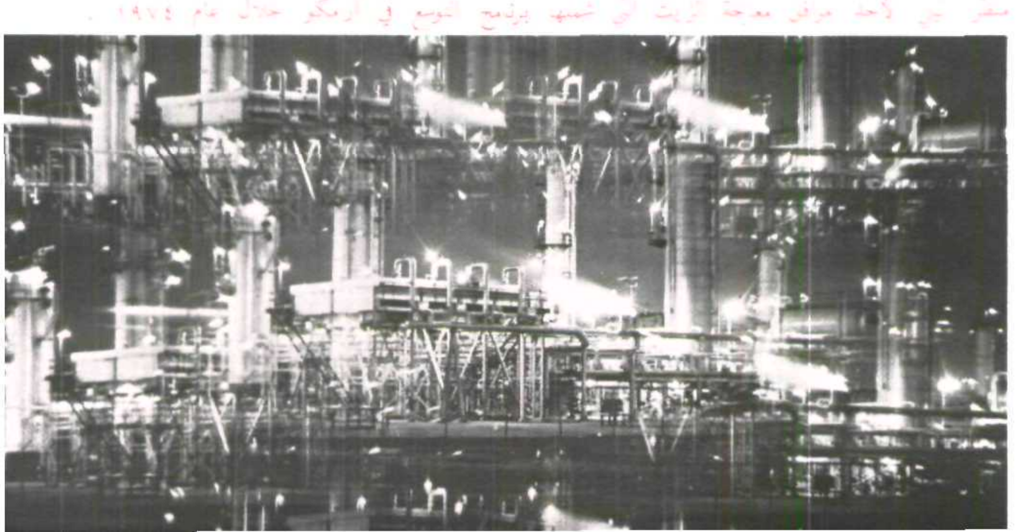
٣ – إحدى حوامات «هوفر كرافت» التي ساعدت في إجراء مسح سيسمولوجي بمحاذاة الساحل في منطقة امتياز أرامكو .

أما في مجال الخدمات الطبية التي تقدمها الشركة للموظفين وعائلاتهم فقد بلغ عدد الزيارات التي قاموا بها للعيادات الطبية خلال العام ٤١٤٠٠٠ زيارة ، كما عملت الشركة خلال العام على تحسين خدمات الأشعة السينية بإضافة معدات جديدة لدراسة صور الأوعية الدموية وذلك للحد من ضرورة إرسال المرضى إلى خارج المملكة لتشخيص حالاتهم .
وقد افتتحت الشركة عيادة خاصة بالحمى الروماتزمية وأمراض القلب لاستقبال المرضى من جميع مناطق أعمالها بقصد دراسة مدى انتشار هذه الأمراض ووضع برنامج فعال لعلاجها والوقاية منها . كما واصلت الشركة أبحاثها الطبية في مرض الخلايا المنجلية وغيره من أمراض الدم الوراثية ، وقد اشتركت في جزء من هذه الأبحاث مع بعض المراكز الطبية في أكسفورد ولندن . ومن ناحية أخرى ، إشترك عدد من موظفي المركز الطبي من السعوديين في عدة برامج للتدريب أثناء العمل وحضروا مؤتمرات إقليمية وعالمية ، كما اشتركوا في برامج للتدريب خارج المملكة لرفع مستوى تخصصهم .
أما في مجال السلامة ، فقد أنشأت الشركة خلال العام دائرة جديدة اسمتها دائرة منع الخسائر والشؤون البيئية ، وذلك لمنع الخسائر والاعتبارات البيئية المتعددة .
ومن جهة أخرى انخفضت نسبة الإصابات الصناعية خلال العام نفسه بمقدار ٣٤ في المائة عن العام السابق ، كما انخفضت نسبة حوادث السير إذ بلغت ٥,٥ في كل مليون كيلومتر قطعته سيارات الشركة ، بعد أن كانت ٥,٦ في العام السابق .

ارامكو والمجتمع

أنفقت الشركة وموظفوها الأجانب في المملكة العربية السعودية خلال العام ما مجموعه ٣٠٥٥٨٠٠٠٠٠ ريال سعودي وذلك إضافة إلى ما دفعته الشركة من ريوع وضرائب .
وبلغ عدد المقاولات التي عهدت بها أرامكو إلى مقاولين سعوديين للقيام بأعمال الإنشاء وتقديم الخدمات حوالي ٣٩٠ مقاولة ، مقابل ٢٧٠ مقاولة في العام السابق ، أي بزيادة ٤٤ في المائة . كما بلغ مجموع ما دفعته الشركة إلى المؤسسات المحلية حوالي ٦٥٥٨٢٥٠٠٠ ريال سعودي أي بزيادة ١٢٤٠٧٥٠٠٠ عما كانت عليه في العام السابق .
ولسد الاحتياجات الرئيسية في ميدان النقل ، قامت أرامكو خلال العام بالتعاقد مع المؤسسات المحلية على نطاق واسع لأول مرة لنقل الحمولات الثقيلة خارج الطرق العامة إلى مواقع الحفر والتنقيب النائية التي يقع بعضها في الربع الخالي . وبلغ مجموع قيمة المقاولات التي عقدت لهذا الغرض حوالي ٢٣٤٠٠٠٠ ريال سعودي .
وخلال العام تعاقدت الشركة لأول مرة مع مؤسسة محلية على القيام بنقل جميع حمولات الشركة الخفيفة بين مناطق أعمالها الرئيسية .
وفي مجال التنمية الصناعية المحلية ، واصلت

منظر ليلي لأحد مرافق معالجة الزيت التي شملها برنامج التوسع في أرامكو خلال عام ١٩٧٤ .





١ – لحامان فنيان يقومان بلحم أجزاء من خط التحميل المغمور في فرضة الجعيمة الجديدة ، ويبلغ قطره ٥٦ بوصة .

٢ – عدد من ناقلات الزيت الضخمة التي أمت فرضة أرامكو على الخليج العربي خلال العام وحملت بالزيت الخام والمنتجات المكررة ، وكان من ضمنها الناقلة « جلوبتك لندن » العملاقة الظاهرة في مقدمة الصورة .

أرامكو تقديم المساعدات الفنية والمالية إلى حوالي ٧٠ من مؤسسات الأعمال ، وبلغت قيمة ما قدمته من بضائع وخدمات إلى أرامكو وغيرها في المملكة خلال العام ٠٠٠ ٨٥٠ ٤٦٠ ريال .

وعلى صعيد المساعدات الزراعية ، فقد واصل مزارعو المنطقة الشرقية من خلال التعاون مع برنامج المساعدة الزراعية في أرامكو ومع وزارة الزراعة والمياه في المملكة ، واصلوا العمل على إيجاد مصادر غذائية لسد حاجة العدد المتزايد من السكان في المنطقة . ونتيجة لذلك ارتفع الإنتاج من الخضر خلال العام إلى ٧,٧ مليون كيلوغرام تقريبا ، كما ارتفع إنتاج البيض إلى ٣٧,٥ مليون بيضة، ودجاج الشواء إلى ١,٢مليون دجاجة . وكانت الاختبارات التي أجريت على زراعة شمندر السكر مشجعة ، وقد رفعت نتائج هذه الأبحاث إلى الحكومة . وقد أدت هذه المساعدات إلى ارتفاع الدخل الإجمالي لأولئك المزارعين إلى حوالي ٤٨,٦ مليون ريال مقابل ٤٢,٢ مليون ريال في العام السابق .

ومن ناحية أخرى ، تخرج ٣٣٥ لحاما من مدرسة اللحام التي تديرها أرامكو منذ عام ١٩٧٢ بعد أن تدربوا على أعمال لحم خطوط الأنابيب ومنشآت معامل التكرير .

كما ساعدت أرامكو عن طريق عقد اتفاقية لضمان الشراء في مشروع إنشاء معمل سعودي لحامض الهيدروكلوريك والصودا الكاوية يهدف إلى إنتاج حوالي ١٦٠ الف جالون من الحامض في الشهر ، بالإضافة الى الصودا الكاوية والكلورين ، وبيعها إلى أرامكو والمؤسسات المحلية . كذلك زادت الشركة اعتمادها على استئجار المساكن والشقق وغرف الفنادق في المدن المجاورة لاستعمال موظفيها .

ومن بين المساعدات الأخرى التي قدمتها أرامكو ، مساعدات إلى شركات الكهرباء المحلية شملت تزويدها بالكهرباء في الحالات الطارئة وتأمين تيار إحتياطي في عدة مواقع بالإضافة إلى ضمان قرض لشركة كهرباء رحيمة لشراء مولدات توربينية تعمل بالغاز .

وبلغ مجموع ما تبرعت به أرامكو لأغراض تعليمية وخيرية وإنسانية خلال عام ١٩٧٤ حوالي ٠٠٠ ٧٣٧ ١٣ ريال منها ٥٠٠ ٣١٧ ٥ ريال سعودي تبرعت بها لكلية البترول والمعادن (١) و ٥٠٠ ٧٥٠ ٥٣١ « للأنروا » لأغراض تعليمية ، والباقي تبرعت به للمدارس والمكتبات ومنظمات الشباب والجمعيات الخيرية في المملكة . وواصلت أرامكو تقديم ٦٠ منحة دراسية للتعليم العالي خارج المملكة لطلاب وطالبات سعوديين تختارهم الحكومة . وقد بلغ مجموع ما أنفقته الشركة على هذه المنح حتى نهاية العام ٦٠٠ ٥٤٥ ١ ريال .

ومن جهة أخرى استمرت أرامكو في تعاونها مع كلية البترول والمعادن (٢) في الظهران بتوظيف طلاب منها لاستيفاء متطلبات منهاج الكلية الذي يقتضي من الطالب الحصول على خبرة عملية في إحدى المؤسسات الصناعية في القطاع الخاص .

وقد وظفت الشركة خلال العام ٣٧ طالبا من طلاب الكلية فأصبح بذلك مجموع الذين وظفتهم أرامكو بموجب هذا البرنامج منذ بدئه ١٣٩ طالبا .

وبنت أرامكو المدرسة الثانية والخمسين وأضافت أجنحة إلى مدارس قائمة بموجب اتفاقية مع الحكومة العربية السعودية . وقد أعدت صفوف التدريس لاستيعاب عدد من الطلبة يساوي عدد من هم في سن الدراسة من أبناء موظفي الشركة السعوديين . وتقوم الشركة بموجب تلك الاتفاقية بإنشاء هذه المدارس وتسليمها إلى الحكومة ، إلا أنها تواصل دفع تكاليف تشغيلها وصيانتها . وقد بلغ مجموع ما أنفقته الشركة على إنشاء هذه المدارس وتشغيلها وصيانتها حتى نهاية العام ٤٦٠ ٥٨٤ ٣٠٨ ريالا سعوديا .

أضافت الشركة الى مرافقها الطبية جهازا متنقلا لمراقبة عمل القلب بغية تحسين العناية بمرض القلب .



(١) (٢) أصبحت جامعة البترول والمعادن فيما بعد .

لوحة من

العرندس

بقلم : الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي

صاحب اللوحة

يكاد يكون صاحب هذه اللوحة ، فناناً مجهولاً .. بالرغم من أنها معزوّة إلى الشاعر العرندس . ولكن من هو « العرندس » ؟ ومن أي عصر .. ؟ وهل هذا لقبه أو اسمه .. ؟ أسئلة لا تجد جواباً شافياً .. أو تجد أجوبة حائرة محيرة .. تذهب بنا إلى متاهات .. وأغلب الظن أن « العرندس » لقبه الذي اشتهر به فأغنى عن اسمه .. فعُرف أنه العرندس الكلابي .. وقال بعضهم أبو العرندس .. وأنه أحد بني بكر بن كلاب (١) .. وقال بعضهم عُبيد بن العرندس ، وقال آخرون : إن اسمه عقيل .

قصة اللوحة

وهذه اللوحة .. لوحة ثناء .. ولكنه ثناء مبدع .. حري بالخلود ..

فقد نزل الشاعر ضيفاً ، على ثلاثة إخوة من بني (غنى بن أعصر) .. على رغم ما بين قبيلته (بني كلاب) وبني غنى ، من ثارات وخصومات .. ولكن الإخوة الثلاثة احتفوا بالشاعر ، على الرغم من فقرهم ، وبالغوا في إكرامه .. فأثنى عليهم ثناء عاطراً في لوحته هذه .. بل لقد أثنى عليهم بقصيدة طويلة ، اخترت منها هذه الأبيات .. فكان أن خصصوا له هبة سنوية ، لما أعجبهم من مديحه البارع .. فكان يأتي كل سنة فيأخذ جائزته ..

ولم يحدثنا التاريخ عن هؤلاء الإخوة الثلاثة ، أو عن ممدوحيه ، سواء أكانوا هؤلاء أو غيرهم .. ولا عن العصر الذي وقعت فيه القصة ..

وقفة تأمل

ولنقف إزاء لوحة العرندس هنيهة .. سوف نرى في حواشي الصورة .. أن العرندس .. جرى على سنن مدرسة الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام .. حينما يستهلون قصائدهم بقطعة غزلية يرطّبون بها الجوّ ، وليعينهم حديث الذكريات على الإسترسال في القول .. متفننين بعد ذلك ، في التخلص من الغزل إلى الثناء .. العرندس .. إذن يستهل لوحته بحديث ذكرياته في تلك الدار .. دار الحبيبة .. بين « كليات .. واظفار والحمتّين » وكلها مواضع في نجد حيث موطن الشاعر . عجيب .. لقد تقادم العهد على هذه الدار حقاً .. مرت الأيام والعصر .. ومرت الرياح والأمطار .. ولكن الحنين إلى هذه الديار يظل جديداً أبداً لا تنال منه الأيام .. ولا تأخذ منه الأمطار ولا الرياح .. فلتبق إذن أيتها المعاهد .. بذات الرّمث .. في منابت الكلأ من (أجَلَى) .. « تلك الهضبة من أعلى نجد .. » لتبق جديدة حية ناضرة .. فمن يدري قد تعود الأيام .. فتجمع شمل أولئك العقائل .. أولئك النساء الكريمات البيض الحسناوات ما بين عين .. وابكار .. وبينهن « عثمة » الحبيبة .. يحففن بها ، ويكرمنها .. ولا يمللن عشرتها .. كيف لا .. وهي الكريمة العاقلة التي لا تبث أسرارها لأحد .. ولئن تحدث الفضوليون عن صلتها بالشاعر .. فان الشاعر يعرف تماماً أنها ممنعة حصيفة .. تعوّد أن لا يعود عنها إلاّ عاتباً زارياً حنقاً .. لشدة محافظتها ..

قف .. أيها الراكب .. الذي أفنى الليل والنهار .. سفراً .. وأفنى شبيبته بكاء على ذات الخلخال والسوار ..

قف فتحدث عن هؤلاء الكرام من بني عمرو .. وهنا ندخل مع الشاعر إلى صميم اللوحة .. حيث تبرز ملامحها في الثناء على هؤلاء القوم أولي الفضل .. وأصحاب الأنفال والعطايا .. وذوي الخطر .. !

فماذا نرى .. ؟

إنهم جماعة من الناس الكرام .. أصحاب يسار وأبناء أيسار .. يبدو على سيمائهم الهون واللين يسوسون المكارم ، ويتطلبون المحامد .. ورثوا المجد كابراً عن كابر ، لا يذكر أحد عنهم (نثا) .. حديث خزي ولا عار .. ليس إلا المحامد في سيرتهم ..

---

(١) لمن شاء الوقوف على تفاصيل الخلاف أو الخلط في أمره يراجع سمط اللآلي ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ ص ١٢ و ٥٤٦ و ٨٤٦ ، ومعنى العرندس في اللغة : الصلب الشديد . وقد جزم البكري في التنبيه على الأمالي أنها لعبيد بن العرندس الإبن لا العرندس الأب .

فهم لا يظعنون .. او لا يطرقون سبيلاً عمياء .. ضالة مضلة .. ولا ينطقون عن جهل .. إن نطقوا .. ، فإن جادلوا فانما يوجزون البيان .. فلا يكثرون لأنهم يتخذون دائماً المواقف الحازمة .. فإن لان مجادلهم لانوا .. أما إن (شُهموا) ، إن جهل عليهم غيرهم فحينئذ تكشف الأحداث عن صلابتهم فاذا هم قوم حرب غير أغمار .. لا تجهل مكانتهم من الشجاعة والغلبة والبأس .

إنهم يعطون لكل حالة لبوسها .. فللين حالته .. فهم فيه أهل حلم يفيئون إلى العرف إذا طلب منهم العرف .. وللشدة ظرفها .. حيث تكشف عن صدق أخبارها إذا كان لا بد من الشدة والحزم ..

وهم جميعاً يتسمون بهذه السمات ، الكبار منهم والصغار كل من تلقى منهم فهو سيد بحق .. تماماً كهذه النجوم التي في السماء يهتدي بها الساري .. كل نجم يؤدي دوره .. فيضيء .. ويلمع .. ويتصدر السماء ..

هذه الصورة المبدعة تمتاز بالبساطة .. فليس فيها صور مركبة .. ولا يذهب خيالها بعيداً .. إنما تبهرك بما فيها من صدق عميق .. وبهذه الخطوط اليسيرة السريعة السهلة التي استعملها الفنان لإبراز ملامح هؤلاء الناس .. الذين لم يحدثنا التاريخ عن أسمائهم فظلوا مجهولين .. وإن دلت عليهم هذه اللوحة الرائعة .

اللوحة

يا دار بين كليات وأظفار ... والحمتين سقاك الله من دار

على تقادم ما قد مر من عصر ... مع الذي مر .. من ريح وأمطار

عنا غنيت .. بذات الريش من أجلى ... والعهد منك قديم .. منذ إعصار

وقد نرى بك .. والأيام جامعة ... بيضا عقائل من عين وأبكار

فيهن «عثمة» لا يملن عشرتها ... ولا يعلن لها يوماً .. بأسرار

إذ يحسب الناس أن قد نلت نائلها ... قدماً .. وأنت عليها عاتب زاري

بل أيها الراكب .. المغني شبيبته ... يبكي على ذات خلخال وأسوار

خبر ثناء بني عمرو ، فإنهم ... أولو فضول ، وأنفال ، وأخطار

هينون لينون .. أيسار ذوو كرم ... سوّاس مكرمة أبناء أيسار

فيهم ومنهم يعد المجد متلداً ... ولا يعد نثا خزي ولا عار

لا ينطقون على العمياء إن نطقوا ... ولا يمارون إن ماروا بإكثار

وإن تلينتهم لانوا وإن شهموا ... كشفت أذمار حرب غير أغمار

إن يسألوا العرف يعطوه وإن جهدوا ... فالجهد يكشف منهم طيب أخبار

من تلق منهم تقل : لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

قصة قصيرة

الطفل الكبير

بقلم: الأستاذ رستم كيلاني

فجأة تمزق حذاؤه من النعل ، وأحس باغتمام شديد ، وحار في أمر نفسه ، وانسرح يفكر لحظات ثم اهتدى أخيراً إلى أن يضع قطعة من الورق المقسّى في داخل الحذاء خشية أن تتسرب المياه إلى قدميه .

واستمر الحال على ذلك فترة إلى أن تمزق الجلد الخارجي للحذاء .. واستبد به الضيق ، والضجر وتاه في خضم من الأفكار .. ماذا يصنع ؟ وماذا يفعل ؟

كان إذا ما جلس إلى زملائه يضع قدميه تحت المقعد بحيث لا يراهما أحد منهم ، ورغم هذا الجهد لاحظوه وهو يخفي حذاءه .

ومن هذا اليوم بدأ « سامي » وهو أكثر زملائه ثرثرة يقول لزميله « علي » مشيراً إلى قدمي « محمود » ، وقد لاحت ابتسامة ساخرة على شفتيه :

– حذاء محمود (موضة) جديدة .

فتضاحك « علي » مستهزئاً يقول :

– حقاً .. (موضة) .. حذاء مكيف بالهواء .

وتحامل « محمود » على نفسه قائلاً في نفاد صبر وهو يحبس دمعه :

– أرجو أن تكف عن هذا الهذر .

وسار يهرول مسرعاً إلى فصله ، والدمع يغشى بصره ، وضحكات زملائه تلاحقه ، وفتح باب الفصل وجلس على مقعده رغم أن الفسحة لم تنته بعد ، واعتمد رأسه بيديه وأخذ يبكي في مرارة وأسى .

وتمهلت دموعه التي تنسكب على خديه حينما تناهى إلى أذنيه رنين جرس المدرسة معلناً ابتداء الحصة الأخيرة . ورفع رأسه بتثاقل ، وجال ببصره نحو التلاميذ الداخلين إلى الفصل وخيل إليه أنهم جميعاً ينظرون إليه باحتقار شديد ، وبدأت الحصة وانتهت ولم يفهم منها شيئاً .

وعاود جرس المدرسة معلناً انتهاء اليوم الدراسي ، وخرج « محمود » من المدرسة حثيث الخطا حزيناً واجماً وسار في الشارع المؤدي إلى بيته المليء بضجيج صيحات بائعي الخضر والفاكهة والجرائد ، وأبواق العربات العالية ، وبالرغم مما يتصف به هذا الشارع فانه لم يطرق سمعه هذه المرة أي ضجيج أو ضوضاء ، قد كانت ملء أذنيه ضحكات ساخرة شغلته عن كل شيء حوله .

بلغ « محمود » سكنه وخلع ملابسه ، وأمسك بحذائه بتحسر وظل يتأمل كل جزء فيه ، كان الحذاء ممزقاً لا أمل يرجى من إصلاحه . وصمم على أن يصارح والده بأمر حذائه ، ويخفي عنه سخرية زملائه حفاظاً لكرامته .

وعندما عاد والده إلى البيت متعباً ، لم يرد محمود أن يصارحه بالأمر خوفاً من أن يغضب منه أو يثور في وجهه .

وأحس باختناق ، فهرع إلى الطريق ، وقطع في السير شوطاً زائغ النظرات بلا هدف او غاية .. ولفت نظره رجل يبسط على الأرض أحذية مستعملة يعرضها للبيع على المارة وفجأة وبلا شعور تقدم محمود نحو الرجل وسأله عن ثمن الحذاء الواحد ، فعلم أنه بستين قرشاً ..

ولما عاد إلى بيته جلس يفكر ويسائل نفسه كيف يحصل على ثمن الحذاء ؟ ؟

أيقول لوالده .. لا .

أيقول لوالدته .. لا .



لقد عاش طوال حياته الدراسية لا يثقل على والديه في طلباته رغم أنه وحيدهما . وكان يقتصد في مصروفاته الضرورية بقدر ما يستطيع حتى يعوض ما يحتاج اليه من كراسات وأقلام وقرطاسية طوال السنة الدراسية ، إنه يدري بحال والديه ، فاذا كان يعلم أن لديهما ثمن حذاء جديد لطالبهما بشرائه ، وهو على يقين أنهما لن يبخلا عليه به . .

بينما هو على حاله خطرت فكرة في رأسه انفرجت لها أسارير وجهه ، فقام من جلسته ، وأخرج من تحت سريره « سلة » كبيرة مملوءة بكتب مدرسية قديمة . . لقد وجد الحل . . سيبيع هذه الكتب وبثمنها سيشتري الحذاء . ولن يسمع كلمات السخرية والتحقير من زملائه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا بواقعه . .

وخرج « محمود » حاملاً السلة وباع ما فيها من الكتب . وتجمع لديه ثمن الحذاء ، فذهب واشتراه .

ولما عاد إلى بيته ، لم ينم وظل حتى الصباح يحدث نفسه :

— لن ألبس الحذاء المقطوع مرة أخرى . . لن أسمع في الغد كلمات السخرية من « سامي » و « علي » . . لن تحس أصابعي بخشونة الأرض أو حصوات الطريق بعد اليوم . . لقد انتهت كل متاعبي . . وبات يحلم بالغد . .

ذهب إلى المدرسة في الصباح . .

كان الحذاء يثير ضجيجاً عالياً شأن احذية رجال الجيش ، وبذلك لفت إليه أنظار وأسماع رفقائه بالمدرسة . . وبدأت الأقاويل تطل برأسها بعد أن سكتت فترة قصيرة من الزمن . . وحزن « محمود » من جديد . . ووصل الأمر إلى الناظر ، فاستدعى محموداً على الفور يسأله عن الخبر ، فقص عليه قصة الحذاء وتأثر الناظر لسماع قصته . .

وفي طابور صباح اليوم التالي ، وقف الناظر ومن حوله الوكيل والمدرسون وأخذ يقول في صوت محتدم :

— تألمت أشد الألم عندما سمعت بمعاودة أسلوب السخرية والتهكم على زميلكم « محمود » بينما أنا وأساتذته فخورون به كل الفخر لتصرفه الحكيم في شراء حذائه الذي تتندرون به ، وتستهزئون بلابسه الذي لم يرهق أهله بثمن حذاء جديد لأنه يحس بحالهم حتى ولم يشعرهم بشرائه .

أليس من الواجب عليكم أن تفخروا به بدلاً من الازدراء به والتعرض له ؟ ؟ ؟

وسادت فترة قصيرة من السكون ، قاطعها الناظر عندما استدعى محموداً من بين إخوانه في الطابور ليقول له :

— بكم اشتريت حذاءك هذا ؟

— بستين قرشاً يا أستاذ .

وأخرج الناظر من جيبه ستين قرشاً وأعطاها له قائلاً بصوت عال أسمع جميع التلاميذ :

— أرجوك أن تشتري لابني حذاء مثله ومقاسه . .

— أمرك يا أستاذ .

وانبسطت أسارير « محمود » وعدا بالنقود في يده إلى مكانه في الطابور وهو يدق بقدميه الأرض بينما كانت نظرات زملائه تشمله بدهشة وخجل . . ●

رستم كيلاني — القاهرة

النواحي الفنية في شعر العقاد

لأديب العربية الكبير عباس محمود العقاد - رحمه الله - قصائد خالدة في عالم الفن أخذت بمجامع الأفئدة واستهوت عواطف الناس على نحو من الأنحاء.. وقد رأيت أن أسجل إعجابي وأستعرض بعضاً من تلك القصائد التي تمت إلى الفن بأعظم الصلات متوخياً بذلك حسن القصد ونبل الغاية..

يحلو لي أن أستهل الموضوع بهذه القطعة الفنية التي دبجها يراع العقاد وأضفى عليها ألقا من الفن والشعور والعاطفة حين تتأجج وتزدحم في جو نفس الإنسان الواجد المكروب الذي يقدر الحب ويرعى الجمال كشيء محسوس يطير بلب الحصيف هيماناً بصنع الصانع العظيم الذي أودع الرهبة والخشية في العيون إلى أن تدمع لمجرد النظرة وتحن لأول وهلة يتعلق فيها القلب بالقلب مستعصياً عليه التريث والهدوء والاستقرار إلى حالة طبيعية من حالات الاطمئنان والتأمل..

وهنا يقول العقاد — رحمه الله —

أحبك حب الشمس فهي مضيئة
وأنت مضيىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر
وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبي للحياة فإنها ...
شعور، وكم في القرب منك شعور

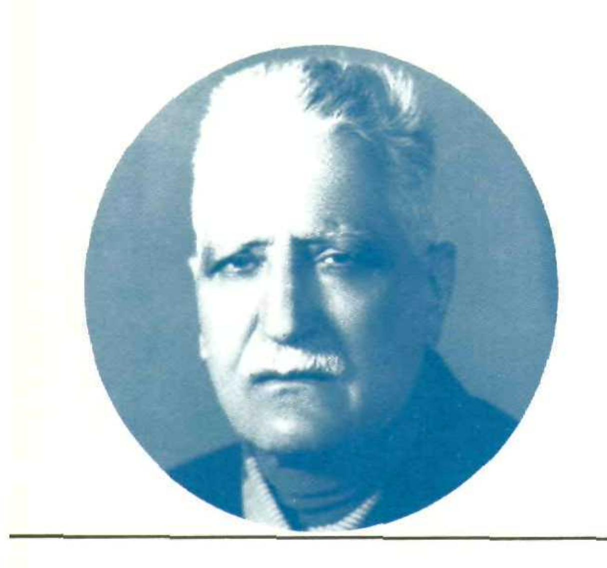
وفي هذه الأبيات معان سامية تطالع القارىء اللبيب بكل سمات الفن ومزايا الروعة وهي التي منحها الله لخلقه كالشمس المضيئة وكالزهر الناضر، وقد تصور الشاعر ذلك في إنسان حياته على حد تعبير بعضهم بأنه مضيء بالجمال الأخاذ المنير، أو هو كما شاء الشباب نضير كنضرة الزهر. ثم لا يلبث أن يبالغ في هواه حسب ما يتصور ويتوقع بأن حبه كحب الحياة ذات الشعور المزدوج الذي يتوفر في القرب الذي لا يبرح أن يكون مجموعة مشاعر وعواطف تتنزّى فيزداد الوجد والهيام وتتجدد الذكريات على صدى عزف قيثارة الوحي والإلهام الطبيعي الذي يحظى به ذوو المشاعر والعواطف الذين يقدرون الحب الطاهر البريء. وعلى هذه الإعتبارات يقول العقاد:

فيا ضيعة الدنيا إذا لم يكن بها
غنى عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعة النفس التي لا يجيرها
من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالي غيابها
وإن غبت آض العيش وهو كدور
فلو لم نول القلب شطرك لامنا
على الجهل كون بالجمال فخور

وهنا يتصور الشاعر ضياع الدنيا والنفس معاً حالة عدم وجود ما يغني للمحزون الواجد حين تثور حفيظته، ويتلظى بجحيم الهوى حتى الشمس إن غابت فليس ثمة مبالاة أو اكتراث بغيابها وذلك إلى الحد الذي يتصور فيه المحزون لو أنه لم يتجه بقلبه وجوارحه وأحاسيسه يتصدى للعبث واللوم القارص. ويتضح هذا من البيت الأخير الذي يتجلى فيه الفن بروعته وإبداعه مع نبذة من فلسفة التأمل والاستعراض بحقيقة الإدراك أو الفهم والاستنتاج وذلك عندما يقرر الشاعر واقع الجمال الأخاذ الذي يفخر ويعتد به كون عامر بالجمال والرؤى وكل محاسن الوجود وذلك عندما يصدف الإنسان عن متابعة الجمال وسبر أغواره والسير في سبيله فيستهدف للوم ذلك الكون الذي يفخر ويعتد بالجمال.. ونستطيع أن نستنتج من هذه الفلسفة أن الإنسان الذي يصدف عن متابعة الجمال والسير في ركابه يعد من الجهلاء الذين يستهدفون دائماً وأبداً للعتب واللوم والتنديد من قبل ذلك الكون العامر بالجمال ومستلزماته..

وثمة قطعة أخرى للعقاد بعنوان: «موكب الحسن» نقتطف منها هذه الأبيات:

موكب سائر من الحسن، والحب،
ومن كل شائق وجميل



بقلم الأستاذ :
عبد السلام طاهر الساسي

يتولى النفوس مثل تفشي النور منه
ومثل دقّ الطبول
شقّ في مشرع الطريق طريقاً
فعلى جانبيه قيد العقول
موكب للشباب والزهو فيه
ملك صائل بتيه خجول

فالعقاد يرحمه الله يصور موكب الحسن وهو يسير مع الحب ومع كل سمات الكمال ومزايا الجمال شاقاً في مشرع الطريق طريقاً آخر لا يسير فيه إلا موكب الحسن بمفرده وعلى جانبيه جموع الناس تشخص إليه بعقولهم وأحاسيسهم ومشاعرهم ، ذلك لأن المواكب عادة تترى وتموج بأشياء محدودة مثل موكب ملك أو أمير أو رئيس أو مارشال أو حتى موكب عرس عدا عن موكب الحسن فإنه يموج بنفسه أولاً ثم يموج بالدنيا كلها وبالمحيط العابر .. وانستمع إلى العقاد وهو يقول :

موكب حافل يموج بفرد
ليس من قل مثله بقليل
موكب الحسن إيه يا موكب الحسن
تفرد بالتاج والاكليل
وتقدم تقدم الجحفل الظا
فر في مصرع الحياة الوبيل
وتلفت تلفّت السيد الآمر
في ملكه العريض الطويل
خذ فؤادي فانه ليس مني
ولك المجد في الغرام الدخيل
مشعل من مشاعل النصر يذكي
بشعاع من حسنك المصقول
لن يضل الجمال في الأرض يوماً
وسبيل الجمال كل سبيل
إنما نحن في ضلال من الأمر
وليس الجمال بالضلّيل

ولعَبد أن أشار العقاد إلى أن موكب الحسن حافل ويموج بفرد واحد فقط يعود ثانية فيناجي الموكب مناجاة صادقة ويشعره بأن يتقدم غير هياب تقدم الجحفل الظافر في مصارع الحياة ، ويتلفّت تلفت السيد الآمر كما قال ، ثم يأذن له بأخذ فؤاده إلى نهاية ما جاء في البيت ... وأخيراً يشيد العقاد بالجمال ويضعه في القمة التي خلق فيها سيداً آمراً حيث يقول إن الجمال لن يضل قط لأن سبيله كل سبيل وإنما الناس هم في ضلال من الأمر بعكس الجمال فهو لم يكن ضليلاً يناله ما ينال الناس من العبث والتلاعب بالقيم والمبادىء ..

وثمة قطعة فنية للعقاد بعنوان : « ليلة الوداع » أعرب فيها عن شعوره الفياض تجاه من أحبه ووهبه عصارة أفكاره وآماله وأمانيه ، وفي ليلة الوداع التي كانت وتكون عادة من أرهب الليالي وأدقها شعوراً واحساساً فصور فيها الشاعر حالة المحب التي لا تعدو أن تكون مليئة بالعبر والأحداث والوقائع المؤلمة التي يستهدف لها كل محب ولهان ، والتي طالما تغنى بها الشعراء وأشادوا وتحدثوا بما يقع في تلك الليلة الرهيبة ..

وهنا نستمع إلى العقاد وهو يتحدث عن ليلة الوداع حيث يقول :

أبعداً نرجّي أم نرجّي تلاقيا
كلا البعد والقربى يهيّج ما بيا
إذا أنا أحمدت اللقاء فإنني
لأحمد حيناً للفراق أياديا
ألا من لنا في كل يوم بفرقة
تجدد ليلات الوداع كما هيا

ثم يقول :

ويا ليلتي لمّا أنست بقربه
وقد ملأ البدر المنير الأعاليا
تطلّع لا يثني عن البدر طرفه
فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا ؟
أشم شذى الأنفاس منك وفي غد
سيرمي بنا البين المشتّ المراميا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا
فنشتد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادي طائر عاد إلفه
إليه فأمسى آخر الليل شاديا

بهذا النفس العالي يتحدث الشاعر عن حالة ليلة الوداع التي جعلته إنساناً صريحاً يقدر حالات الحب وما يدور في فلك النفس الإنسانية الحساسة وذلك حين يقول بأنه يشم شذى الأنفاس على أساس أن البين المشت سيلعب دوره غداً عندما يفقد الرؤيا والحديث الشهي ، على اعتبار أن فؤاده شبيه بطائر عاد إليه أليفه فيظل يشدو ويترنم بألحان الهوى إلى نهاية الليل . .

ولم يكتف الشاعر بهذا القدر من الحديث عن ليلة الوداع وحالته مع المحبوب بل تعدى كل ما ذكر بأن استأنف حديثه قائلاً :

اوشّح في كلتا يديه رواجبي
وشيجاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفي شعره فكأنني
أعارض سلسالاً من الماء صافيا
وأشكوه ما يجني ، فينفر غاضباً
وأعطفه نحوي ، فيعطف راضيا
أقول له يكفيك إنك قادر
على أمل أعيى الزمان المعاديا
قدرت على إسعادنا ومنحتنا
ليالي أعيى منحهن اللياليا

ومعنى الرواجب في البيت الأول من هذه الفقرة من القصيدة مفاصل الأصابع وهي التي وشجها الشاعر مع رواجب المحبوب وشيجاً يظل مع الأيام نامياً يجدد حالات الحب في كل حين ، ثم لا يلبث أن تلمس الكف الشعر المرصف الذي شبهه الشاعر بسلسال من الماء صافياً ، ثم يشكوه جناياته ويعطفه إليه ويقول له يكفيك أنك قادر على أمل أعيى الزمان المعاديا . .

ويختتم العقاد قصيدة « ليلة الوداع » بقوله :

ولما تقضّى الليل الا أقلّه
وحان التنائي جشت بالدمع باكيا
فأقبل يرعاني ويبكي وربما
بكى الطفل للباكي وإن كان لاهيا
فهب لوداعي من رقادك ليلة
تمرّ ، فإني قد وهبت حياتيا
حرام عليّ النوم ما دام هاتف
من الليل لا ينسى إذا بت ناسيا
حرام علي النوم هل نام عاشق
جنى في سواد الليل تلك الأمانيا
وأسلمت كفي كفه فأعادها
وقلبي ! فهلاّ أرجع القلب ثانيا

هذه تقريباً خاتمة قصيدة « ليلة الوداع » وقد جمعت كل أسباب الحب والوجد والحنين وذلك إلى آخر ما تبقى من الليلة حيث فاض الحنين وتضاعف البكاء من الطرفين حيث لا راحة ولا هجوع حتى ولا نوم يريح كليهما الأمر الذي جعل العاشق المكروب يقول إن النوم قد حرم عليه طالما أن ثمة هاتفاً من الليل لم ينس مما بات عليه ، وأنه لم يدر بخلده أن عاشقاً ينام بعد أن جنى كثيراً من الأماني في سواد الليل ، وأخيراً أسلم كفه لكف حبه مع قلبه ويتساءل حينذاك أهلاّ أعاد القلب إليه ثانياً ، والواقع أن الذي يتصفح قصيدة « ليلة الوداع » للعقاد يدرك غاية الحب ، وسمة الجمال وكل ما يدور في فلك الحب على النحو البريء الذي لا غلوّ فيه ولا زيف ولا تضليل ، ذلك لأن الحب الطاهر البريء يجب أن يكون على هذا النحو من الطهر والبراءة والعفة والنزاهة . .

وفي تحف العقاد الشعرية قصيدة بعنوان « ليالي رأس البر » وهي التي يقول فيها :

مناظر من سحر الجمال أراها
ولولا سناها قلت : كنت أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها
لعمق معانيها ، وبعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابه
وفيها من السلوى جميل رضاها
ليال برأس البر تندى وداعة
ورقة أشجان ، وطاب نداها
وداعة ذات الدّل شاب فؤادها
شوائب من هجر ، فراض صباها

وهذا في الواقع قبس من الفن الطبيعي الذي يأخذ باللب ويستهوي عواطف الناس ، فرأس البر في مصر مكان فسيح ترتاح له النفوس ، وتهفو له الأرواح الأمر الذي جعل الشاعر يصفه وصفاً طبيعياً بأنه مجموعة مناظر من سحر الجمال وهي تلوح كذكر الحالم حين يستعيدها لأن فيها من عالم النسيان مشابه ، وفيها من السلوى والبهجة والروعة كل أسباب الرضى والاستحسان ، ثم يعود فيقول :

ليال برأس البر طاب نداها
وشفّت دياجيها ورقّ سناها
هنا الليل ساج طال في الدهر سيره
وطالت مرامي نبعه فسلاها
هنا البحر ثوار الدهور على الكرى
ويطغى فلا يحمي النفوس كراها
إذا استرسلت أصداؤه في اطرادها
ترسلت الأحلام ملء مناها
هنا عالم السلوى ، هنا العالم الذي
تحسّ الليالي فيه همس خطاها
هنا العالم المشهود ذكرى قديمة
وذكراك دنيا لا تزال تراها
فلولا حياتي في عروقي أحسّها
لقلت نعيم الغابرين طواها

ولعل أجمل ما في هذه الرائعة الشعرية ذكرى الليالي العامرة بالسعادة والهناء والذكريات الجميلة كالنيل أو البحر كأنما هو عالم من السلوى مشهود بالذكرى والمرح وذلك إلى الحد الذي جعل الشاعر يجزم ويؤكد أنه لولا أنه يحس بحياته لزعم أن نعيم الأوائل الغابرين طواها وأصبحت اليوم أثراً بعد عين . . ومن هذا الوصف البديع ندرك أن ليالي رأس البر خاصة ليست هي كالليالي المماثلة التي يتغنى بها الشعراء ويستبدون بما تحويه من متع الحياة وملذات الدنيا ذلك لأن الشاعر قد ميز هذه الليالي الخاصة بحيث يقول عنها :

جمالك — رأس البر — في زي ناسك
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
صحابك — رأس البر — أطياف نائم
تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذي يعني النيام من الرؤى
ولم أر جهداً في الحياة عناها
حياتك — رأس البر — طفل مجدد
سقته ثدي الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما
فنينا ، وكم تفني الجسوم نهاها

إنها في الواقع مزايا وسمات حشدت كل طاقات الشاعر الكبير الذي عرف كيف يصور واقع الحياة ، وواقع الفن الذي استأثرت به هذه البقعة الطيبة التي جمعت كل مزايا الجمال والصحاب ، والليالي بما فيها الروعة والإبداع ثم الحياة الفنية التي تزدهي بها ليالي رأس البر في كل المناسبات ●

عبد السلام طاهر الساسي — مكة المكرمة

أخبار الكتب

* صدر عن دار العلوم العربية في طهران معجم فارسي/عربي عنوانه « القاموس الفريد في العصر الجديد » من تصنيف الشيخ أحمد النجفي .

ويتابع الأستاذ حسان الكاتب اخراج أجزاء جديدة من « الموسوعة الموجزة » كل جزء منها يتناول حرفا من أحرف الهجاء . وأحدث أجزائها هو السادس ويضم مواد حرف الحاء . وقد صدرت الموسوعة عن مطبعة الف باء – الأديب بدمشق .

* الأديب الطبيب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي ظهر له أخيرا عملان روائيان كبيران الأول رواية طويلة عنوانها « قلوب على الأسلاك » هي أضخم عمل روائي للدكتور العجيلي حتى الآن ، وقد صدرت عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع في بيروت . كما صدرت للدكتور العجيلي بالاشتراك مع الأستاذ أنور قصيباتي رواية أخرى عنوانها « ألوان الحب الثلاثة » نشرتها دار الكندي في دمشق .

وفي الأدب الروائي ظهرت الأعمال الآتية : « حكايا جديدة » أقاصيص للأستاذ عيسى الناعوري من منشورات دائرة الثقافة والفنون الأردنية ، و « تحت النافذة » قصص ومسرحيات للأستاذ مراد السباعي من نشر اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وطبعة ثانية من مسرحية « السد » للأستاذ محمود المسعدي مع تعليق للدكتور طه حسين ، وقد صدرت عن الدار التونسية للنشر ، و « خطأ في العدّ التنازلي » تمثيلية للقاص العراقي الكبير عبد المجيد لطفي من منشورات دار الحرية للطباعة في بغداد ، و « العالم بين قوسين » مجموعة أقاصيص للسيدة ضياء قصبجي ونشر دار الأجيال بدمشق ، و« نوافذ الزمن » رواية للأديب التونسي الأستاذ محمد المختار جنات ونشر الشركة التونسية للتوزيع ، و « المهرجون » و « قصة فيلادلفيا » وهما مسرحيتان لفيليب باري ترجمهما الدكتور صلاح عبد المجيد العربي وراجعهما الدكتور عادل سلامة ونشرتهما وزارة الإعلام في الكويت .

* تصدر قريباً للأديبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري رواية « البرتقال المرّ » .

* من الدراسات الأدبية التي ظهرت « مقالة في النقد » لجراهام هو وترجمة الأستاذ محي الدين صبحي ونشر المجلس الأعلى لرعاية الآداب بدمشق ، و « الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين » للأديبة عائشة الدباغ ونشر دار الفكر ، و « خمسون عاما في خدمة المسرح » وهو الجزء الثاني من مذكرات المسرحي الكبير الراحل الأستاذ فتوح نشاطي وقد صدر عن الهيئة المصرية للكتاب ، و « أضواء على الأدب والحياة » للأديب الكبير الأستاذ ابراهيم المصري ونشر دار الهلال ، و « قراءة الرواية » وهو دراسة نقدية للدكتور محمود الربيعي طبع القاهرة ، و « الأدب اللبناني في اللغة الفرنسية » وهو رسالة دكتوراه باللغة الفرنسية صدرت في كويبك بكندا للدكتور ساهر خلف بمقدمة لميشيل كورقان تعرف بالأدباء والروائيين والشعراء اللبنانيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية ●

تعقيب

قرأت مقالا قيماً للاستاذ ظافر القاسمي بالعدد الرابع الصادر في شهر ربيع الثاني ١٣٩٥هـ تحت عنوان « المعارضة والنقد الذاتي في الشريعة والتاريخ » ، وأعجبني ما أورد فيه من آيات قرآنية تدل على اهتمام الاسلام بالنقد الذاتي . . الذي آثر الأستاذ الكاتب ان يسميه « محاسبة النفس »

كما ان الكاتب الكريم أثبت نماذج رائعة من خطب الخليفة الراشد أبي بكر ، وخلفه عمر بن الخطاب . . ومواقفهما الرائعة الماتعة ، التي تمثل « النقد الذاتي » أو محاسبة النفس أصدق تمثيل .

ثم تدرج إلى العهد الأموي .. فذكر موقفاً لمعاوية الثاني حين اراد أن يتنازل عن الخلافة ، لأنه رأى أن هناك من هو أحق منه بها ، وطرح على الناس أحد أمرين : إما أن يختار لهم أو يختاروا لأنفسهم من يكون خليفه عليهم بدلا منه الخ . . .

وهنا يقول الأستاذ ظافر : « سألت أصدقائي من أساتذة التاريخ في الجامعات السورية واللبنانية والمصرية عن حادث مماثل أو مشابه على الأقل عند أية أمة من الأمم فأجابوا بالنفي . والسؤال مطروح على من يجيب عليه . فقالوا : لقد عرفت استقالات فيها إكراه مادي أو معنوي . .أما أن حاكماً استقال لأن في أمته من هو خير منه فهذا ما لم نقع عليه » .

وقبل ذلك وعند رواية الحادثة قال الأستاذ القاسمي :« إنها حادثة فريدة في التاريخ الانساني كله» أي أنها لم تكن لها سابقة حتى في التاريخ الاسلامي ولا لاحقة . .

وهنا تبدأ أو تبدو ملاحظتي ، فتاريخ الحكم الإسلامي يحدثنا عن حادثة مماثلة وقعت في عهد « عمر بن عبد العزيز » الذي تولى الحكم بوصاية من سلفه سليمان بن عبد الملك . وقد عد – أي عمر بن عبد العزيز – خامس الخلفاء الراشدين لعدله وفضله وسهره على مصالح رعاياه، وأمنهم وسلامتهم ، ورغدهم ورخائهم ، وعدم تمييزه للأقارب على الأبعدين .

فعندما توفي سليمان ، وانتقلت الخلافة إلى عمر سارع هذا إلى المنبر فخطب الناس قائلا : « أيها الناس اني قد ابتليت بهذا الأمر ،من غير رأي مني ، ولا طُلبةٍ له ، ولا مشورة من المسلمين . واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم » .

فالموقفان متشابهان بل متماثلان . وان كان الدافعان يختلفان ، فدافع معاوية الثاني إحساسه بأن هناك من هو أحق بالخلافة منه . أما دافع عمر بن عبد العزيز فشعوره بأن المسلمين لم يؤخذ رأيهم في استخلافه ، وإنما جاء هذا الاستخلاف بوصية سلفه سليمان بن عبد الملك .وأن من حق المسلمين أن يختاروا خليفتهم وألا يفرض عليهم . كما أن عمر نفسه لم يستشره سليمان في ذلك ، وليس في نفسه رغبة فيه .

وشكراً للقافلة ، وللأستاذ ظافر القاسمي ، لما أتاحا لي من فرصة هذا الحوار الموضوعي المفيد ●

أحمد محمد جمال
جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة

من حصاد الكتب

ديوان في جزئية

عرض وتعليق:

ترابطني بالشاعر المهاجر : جورج صيدح ، صلة ودّ ، ترجع إلى خمسة عشر عاما ، أو تزيد قليلا ، عندما راسلته ، ردا على هديته لي بكتابه : « أدبنا وأدباؤنا » وبعض دواوينه .

وكانت الصلة على امتداد هذه السنين ، تأخذ نوعا من العمق في دراسة الشاعر ، واتجاها في كنه شعره ومذاقه ، مما جعلني أتحدث وإياه حديثا متشعبا حول الأدب بعامة ، وأدب المهاجر بخاصة ، مما كان له وقعه آنذلك في مجلة « المعرفة » السورية ، ومجلة « قافلة الزيت » السعودية ، حتى أن الشاعر قد آثرني بجلّ ما عنده من جذاذات ، تضم شعره ، وتجمع ما تشتت من قصيده ..

وقد تلقيت كغيري ، ممن يؤثرهم الشاعر بمودّته : جزءين من ديوانه ، الذي أعلن ناشره أنه سيكون في أربعة أجزاء ، تلم ما تناثر من شعر الشاعر ، وما استجدّ من بيانه ، وتعيد في الوقت نفسه ، قصائد كانت قد نشرت في دواوين له ، أو مجموعات عرفت الطريق لدى القراء ، بطريق الإهداء تارة ، أو سبيل الابتياع تارة أخرى ، وإن كان هذا نادرا ما يكون ، وقليلا ما يقع . فصيدح من أنصار ثقافة « الهواء والماء » وإن كان هذا غير معاب في سنين هذه الحياة ..!

عمد الشاعر في جزء الديوان الأول ، إلى الحديث عن شخصه ، وعبّر عن مكنون ما يلف حياته ، ويدور حولها ، في حلّه وترحاله : طفولته وشبابه ، دراسته ومرضه ، هجرته وتكريمه ، زواجه وتهنئة ابنته ، حتى وهو « جدّ » يلهو مع حفيديه ..

ومضى الشاعر : صيدح في الجزء الثاني من ديوانه ، يصف مرة ، ويراسل أخرى ، ويتوجع ثالثة ، وإن كان لا ينسى حديث نفسه ، ونجوى فؤاده ، وما يقوم به من مغامرات ..!

ودون شك ، فإن الشاعر في أكثر هذه المجموعة الشعرية ، إنما يعبّر تعبيرا صادقا عن أحاسيسه الرقيقة ، ونظراته إلى كل ما يدور حوله ، بعقل ووعي ، لا بخيال مرهق ، أو تهويم كليل ..

فالشاعر في نظرته العامة إلى الأدباء العرب في المهاجر الأمريكية ، يظهر الصورة المجسمة التي يعيشها المهاجر ، ويظل يعيشها ، حتى أن الورود تعود كلها ، لكن المهاجر وحده لا يعود ..!!

والتصوير هنا لا يجري مجرى الخيال ، أو يأخذ شكل التهويمات ، أو يقع موقع المبالغات ، بل هو الواقع الذي عرفه الشاعر ، ولمسه جميع المهاجرين :

يا وردتي ، طرت كذات الجناح
ولم تعودي في معاد الطيور
رباه ، سلطّت عليها الرياح
فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت ، كالعندليب الصدي
في صفحة المستنقع الأربد

ثم يناجي الأستاذ صيدح تلك الوردة وينعى حظها ، بما لاقاه ذلك الكوكب من الغبن ، والتواري خلف تلك الغيوم ، فلم تهتد به عين ، ولم يعرفه كثير من الناس ، لأن مسراه كان بين الجلمد والوحل الذي لا ينظر اليه .

أي وردتي ، في ثوبك الناصع
وحظك الفاحم هزء القدر
واغبن ذاك الكوكب الساطع
خلف الغيوم الخانقات استتر
مسراه — لا عين به تهتدي
مسراك بين الوحل والجلمد

ويصف الشاعر مرضه في أيام دراسته ، ثم انقطاعه وعمله بالمتجر الذي مني فيه بالخسارة ، حتى اضطر إلى الرحيل إلى المهجر البعيد ، وهناك كان استقراره الأبدي ، الذي فتح فيه صفحة جديدة من حياته بعراكه مع الحياة والغلبة عليها بتركها تئن تارة على بحيرة « ليمان » وتارة أخرى في التذكر واسترجاع المواضي من الأيام :

أين إخواني وأين الصحب أين
أين أهلي أين أمي وأبي
أين أيامي بأرض الهرمين
ليس لي في غيرها من أرب

ويصور الأستاذ صيدح ، استقرار الحياة معه ، وتجواله في جبال « لوس أندس » ،

صيدح
الأول والثاني

الأستاذ أبو طالب زيّان

ثم كان الشاعر وحفلات تكريمه في كثير من عواصم الغرب والشرق ، وعرفان فضله الذي جاهد له ، حتى كان الشاعر الكبير . .

ولكن من هو جورج صيدح في هذا الديوان . . ؟

يغلب على ظني أن هذا الشاعر ، قد اختار القافية السهلة في هذه المجموعة الشعرية التي استخلصها من بين آلاف الأبيات التي كانت له في مجموعات سابقة ، أو كانت من بين شعر له في مكتبه ، نظمه وادّخره لهذه الأجزاء الأربعة .

واضطرار الشاعر إلى مصالحة هذا الشعر ، واستصحابه ، إنما كان عن غرض يلمسه المطالع حين لا تغرب عنه كلمة ، أو تند عنه لفظة تحتاج إلى قاموس ، لذلك كان مقتضى الحال ، أدعى في هذا الشعر من غيره ، أو أن الشاعر أراد أن يجرب السّهل في الشعر ، لئلا يوقع القاريء في متاهات المعجمات ... ولعلني أقول : إن هذا الشعر ، ربما كان أدعى إلى استظهاره ، وهذا ما قصد إليه الشاعر الحريص على إيصال كلامه من أقرب طريق ، ودون أية معاناة أو إعمال ..

ففي قصيدة صيدح : « كن شاعرا » ، نجد السهولة ، ونلمس روح الشاعر تثب من بين الكلام ، أو لا نجد معاناة الفهم ، وحرص أولئك الشعراء على الإغراب ، والجنوح إلى المعميات ، وغالبا هي حياة صيدح بعد ذلك الضرب في فساح البلاد ، والتجوال في منافي تلك العواصم .

عهــد الصبــا ، خـير العهــود
مــا عدت ، والـذكرى تعـود
كــن شاعـراً وجـد السعادة
فــي التغـني بالسعـود

وفي قصيدة « وطني » يسير الشاعر على هذا النحو ، ويمضي بهذا القدر المحدود من الألفاظ ، داخلا تحت هذه القافية :

وطــني ، أيـن أنـا ممن أودْ
أوَمـــا للحـظ بعـد الجزر مد ؟

وفي : « يارب هوّنها » يقول :

أيعـــود للـوطن الغريب النائـي
يـا رب هوّنهـــا على الغربــاء

ويحق لي أن أسائل الشاعر في كثير مما تضمنه هذان الجزءان من هذا الديوان الذي يعتز به الأستاذ صيدح ، ويعدّه خير أثر له ، بعد أن قطع حياته جزرا ومدا كما قال وبلاها حلوة ومرة مستقيمة له تارة ، ومعوجة أمامه تارة أخرى ..؟

الحق أن الشاعر ، قد أراد التفرد بناحية لا تعفيه من الملام ، وإن هو حاول أن ينأى عنها ببعده عن موطن النشر ، إلا أنه مسؤول عما جاء بها من اختلال في التبويب والترتيب والتأريخ ، الأمر الذي يتأرجح بالمطالع لهذه الأشعار ، ويذهب به كلّ مذهب ، حتى أنني قد حرت وأنا أراجع بعض تواريخ أكثر القصائد ، أو أزمانها ، أو ملابساتها . إذ كان يجب أن يراجع ما في الجزء الثاني قبل طبع الجزء الأول ويُوضع كلّ غرض إلى جوار الآخر ، متسلسلا بالتواريخ ، وهذا ما يقع لكثير من الشعراء الذين يرسلون شعرهم في أغراض يأخذ بعضها بتلابيب بعضها الآخر ، ثم تكون بعيدة عن بعضها ، مما يكون موضع مؤاخذة لجل هؤلاء ..

ومهما تناسيت فلن أنسى مزيدا من الألفاظ ، وقد فقدت رنينها الذي عودنا إياه الشاعر في شعره الكثير .. فرنين اللفظ ، وجسامة المعنى ، ونكهة المأخذ أو المدخل ، إنما هي فريدات الشعراء الأوائل الذين أخذنا عنهم وتعلمنا عليهم ، فضلا على أن الغرض الذي يعمد اليه الشاعر : صيدح ، قد يكون غالبا في طيّ القصيدة أو في أخرياتها ، وهذا ما آخذه عليه أنا شخصيا ، لعلمي أن جورج صيدح ، طليعة من طلائع الشعر في العصر الحديث ، وخلف لكبار السلف الذين ندين لهم بكل ما عندنا من بضاعة أدبية ، أو ثروة بيانية .

وأملي أن يراجع الشاعر ما يضمه الجزءان الآخران : الثالث والرابع ، حتى لا يقع فيهما ما وقع في الجزءين الأولين ، فقمة صيدح أعلى من أن يتطاول إليها قلم ، وأرفع من أن ينال منها ، ولا سيما فأنا من الذين كان لهم الشرف في الاعتراف من معينه ، والغوص على لآلئه ●

أبو طالب زيان — القاهرة


الآثار الفرعونية



في بلاد النوبة

بقلم : الأستاذ محمد زكي راغب

تقع بلاد النوبة في القطاع الممتد من وادي النيل ، بين أسوان شمالاً والشلال الرابع جنوباً . وسكان النوبة موزعون على مناطق ثلاث ، الأولى وتقع بين الشلال الأول والشلال الثاني ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٠ الف نسمة ويتبعون جمهورية مصر ، والثانية وتقع بين الشلالين الثاني والثالث ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٠٠ الف نسمة . أما المنطقة الثالثة وهي الواقعة بين الشلالين الثالث والرابع ، فيبلغ عدد سكانها ضعفي سكان المنطقة الثانيــة ، وهاتان المنطقتان تتبعان جمهورية السودان .

والحياة في المجتمع النوبي تشبه الى حد كبير الأساس الذي قام عليه المجتمع المصري القديم في أبعد عهوده ، من حيث ارتباط السكان بالأرض ، والإقامة حول النهر ، ومزاولة الزراعة . وهو مجتمع محافظ شديد الحرص على تقاليده ، بطيء في تطوره وعاداته ، وسبب ذلك صعوبة المواصلات من ناحية ، والعزلة التي عاشوا فيها آلاف السنين من ناحية أخرى .

على أن حياتهم اليوم قد أصابت تقدماً ملحوظاً لكثرة من يعمل منهم في مصر ، إذ ينقلون إلى بلادهم من أسباب التطور ما يدفع بحياتهم إلى الأمام ، وقد أسهمت مصر في نشر الثقافة والتعليم في تلك البلاد بصورة ملحوظة . ويعيش سكان النوبة اليوم على ما تنتجه ارضها من غلات ضئيلــة مــن محاصيل الذرة والقمح والشعير وبعض الخضر ،

واجهة معبد أبو سمبل ، وهو من أبرز المعالم الأثرية التي تحتضنها بلاد النوبة ، ويرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد رمسيس الثاني

وتربية الماشية ، بالإضافة إلى ما يعود عليهم من بعض الصناعات الصغيرة كالخزف والخوص .

ويتكلم النوبيون لهجات أشهرها الكنزية والفارجية والدنقلاوية الكنزية ولا يكتبونها فهي رطانات ولا يمكن تدوين الرطانة إلا بالحروف اللاتينية .

ولضيق القرى في بلاد النوبة ، خاصة بعد إنشاء السد العالي ، وقلة عدد سكانها يزاول أصحاب التجارة أعمالهم على سفن صغيرة يحملون عليها السلع وينتقلون بها بين القرى على مياه النيل .

معبد أبو سنبل الكبير

وفي هذه المناطق البعيدة من بقاع النوبة أنشأ فرعون مصر رمسيس الثاني معبده الضخم في صخور النوبة ، على ربوة من الصخر مشرفة على النيل ، تقع على بعد ٢٨٠ كيلومتراً من جنوبي مدينة أسوان . ويبلغ الزائر هذا المعبد على مراكب نهرية في رحلة ممتعة تستغرق ٣٠ ساعة ، تتيح له استجلاء الطبيعة وما فيها من جمال تتهادى صوره بين رمال الصحراء وألوان الصخر والنخيل وشجر الدوم .

كما يشاهد الزائر آثار البراعة الإنسانية في أروع صورها تتمثل في تلك المعابد الضخمة التي أقامها فراعنة الوادي في تلك البقاع . بعضها مشيد من مختلف أنواع الصخر ، وبعضها منحوت في صميمه . فهناك معابد جزيرة فيلة (١) ، ثم معبد دابور ، وكلابشة ، وجرف حسين ، والدكة ، ووادي السبوع ، والدر ، وجميعها دور عبادة أقامها الفراعنة في عهود مختلفة بين ربوع النوبة لتظل مع الزمن متاحف أثرية تضم أغنى الكنوز من تاريخ الحضارة الانسانية .

وأول ما يطالع الزائر من عمارة ذلك المعبد مدخله الرائع المشرف على نهر النيل تحرسه نصب تذكارية أربعة ضخمة لفرعون ، يبلغ ارتفاع كل منها ٢٠ متراً ، وهي منحوتة في قلب الصخر نحتاً دقيقاً ، ويبلغ ارتفاع واجهته ٣٣ متراً ، وعرضها ٣٨ متراً وعلى رؤوسها تاج فرعون .

وعلى جانبي المدخل أبرز النحات صورة رمزية تمثل وحدة الوادي تحت إمرته ، فجعل النيل نيلين ، أحدهما لصعيد مصر والآخر لدلتاها.

وأمام المدخل رحبة واسعة يرقى اليها الزائر على طريق ذي درج ، وعلى جانبها عدد من النصب التذكارية ، منها ما يصور معبود الدار الأول « رع حوراختي » ، ومنها ما يصور رمسيس الكبير ، ومع كل أولئك طائفة من النصب أهمها وأشهرها ذلك النصب الذي دون عليه فرعون قصة زواجه بابنة عاهل الحيثيين وتوقيع ميثاق السلام بين مصر وبلاد جيتا ، وهو أول ميثاق من نوعه عرفه التاريخ .

وفي الطرف الشمالي من هذه الرحبة محراب مكشوف به مسلتان وبعض التماثيل ، وفي الطرف الجنوبي محراب « تحوت » رمز المعرفة والحكمة عند قدماء المصريين ، ولم تزل مناظره الملونة تحتفظ ببعض روعتها حتى الآن .

ومن وراء مدخل المعبد تمتد قاعة العمد الكبرى ، وهي مربعة ومنحوتة في الصخر ، ولها ثمانية أعمدة على وجه كل منها نصب لفرعون ، وسقف القاعة مزدان بصور الرخمة تنشر جناحيها كأنما أريد بذلك أن تحمي القاعة وتحمي اسم فرعون المنقوش في أعلاها .

وعلى جدران هذه القاعة وصفحات عمدها مناظر مختلفة الألوان ، أهمها ما يصور معركة قادش بين مصر والحيثيين ، وكتب النصر فيها لجيش مصر تحت قيادة فرعونها رمسيس الكبير .

ويلي قاعة العمد الكبرى قاعة أصغر ، هي قاعة الإشراف ، ولها أربعة أعمدة ، وعلى جدرانها صور ورسوم تمثل جانباً من الطقوس الدينية الفرعونية . كذلك نحت في جوانب هذه القاعة غرفات خصصت لحفظ القرابين ، زينت جدرانها بصور تمثل موائد كومت فوقها الوان من الأطعمة والأشربة ، من لحوم وخضر وفاكهة وفطائر ، ثم ألوان الزيوت والعطور . ثم ينتهي المعبد بآخر قاعاته حيث يوجد تمثال صاحب الدار ، وقد استضاف معه في ذلك المحراب « آمون رع » صاحب طيبة ، و « بتاح » صاحب منفى .

المعبد الصغير

وإلى الشمال من المعبد الكبير أنشأ فرعون معبداً آخر به تمثال لزوجته الأولى « نفرتاري » ، والمعبد منحوت كله في الصخر ، وواجهته تزينها تماثيل ستة ، منها أربعة للملك واثنان للملكة يعلوها تاج على هيئة قرص الشمس بين ريشتين . كما ملىء الفراغ الواقع بين تماثيل الملك بنقوش تبين اسمه وألقابه ، وفي الوسط يقع مدخل المعبد وقد ازدانت واجهته بطائفة من صور الحيات النواشر . ويؤدي المدخل الى قاعة فسيحة أخرى يرتفع سقفها فوق ستة أعمدة ضخمة تعلوها التيجان ، وتزدان جدران هذه القاعة بمناظر مختلفة ، منها ما يمثل فرعون وهو يضرب أعداءه ، ومنها ما يمثل فرعون وزوجه يحملان القرابين .

وفي منتصف الجدار الغربي من تلك



معبد أبو سنبل الصغير تزين واجهته ستة تماثيل لرمسيس وزوجته نفرتارى . .

(١) راجع قافلة الزيت عدد صفر ١٣٩٥ :

القاعة باب زينت وجهته بقرص الشمس تبرز منه حيتان وطير الباشق ناشراً جناحيه ، فالشمس مصدر النور والنار ، والحية في فيها سم قاتل تنفثه موتاً في وجوه المعتدين ، والجناحان للحفظ والحماية يحمي بهما الطائر فراخه .

ويؤدي ذلك الباب الى معبد « حتحور »، وجدران هذه الغرفة محلاة كلها بمشاهد تمثل فرعون وزوجه يقومان ببعض طقوس العبادة ففرعون يحرق البخور ، وزوجه تهز الصلاصل حمداً وشكراً .

نقل معبد أبو سنبل

كان بناء السد العالي بداية التغيير في بلاد النوبة ، وفي مصير كنوز الحضارة الفرعونية العريقة التي تذخر بها . وبناء السد بالنسبة للذين يهمهم تراث مصر انطوى على أمل انقاذ الآثار الموجودة في بلاد النوبة حتى لا تغمرها مياه النيل الى الأبد . واستقر رأي المسؤولين عن الآثار على نقل المشكلة الى المجال الدولي ، وكان ذلك عن طريق هيئة « اليونسكو » الدولية . . وقد رحبت المنظمة الدولية بطلب مصر الذي تقدمت به في يناير سنة ١٩٥٩ وذلك بتوجيه نداء دولي لانقاذ آثار النوبة ، وبدأت الحملة الدولية لانقاذ درة آثار النوبة جميعاً وهما معبدا «أبو سنبل». ويرجع تاريخ بناء هذين المعبدين اللذين أقامهما رمسيس الثاني الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد بقيا في موضعهما حتى عام ١٩٦٣م الذي تقرر فيه أن ينقلا الى مكانهما الحالي فوق جبل « أبو سنبل » على ارتفاع ٦٥ متراً . وقد أسهم في انجاز هذا العمل الكبير حوالي خمسين دولة . وتضافرت جهود « اليونسكو » ، واللجان الدولية في دراسة عمليات إنقاذ هذين المعبدين ليأتي انقاذهما مثلاً يحتذى للتعاون الدولي في مجال الحفاظ على التراث الانساني . . وقد تم بالفعل إنقاذ « ابو سنبل » .

لقد مر تنفيذ المشروع بمراحل اذ أقيم سدّ موقت لحماية الأعمال الجارية بالمعبدين ، من ركام صخري داخل كل معبد لحماية الجدران والأسقف والأعمدة وذلك أثناء عمليات إزالة الصخور من فوق كل معبد ، وقد بلغت كميات الصخور التي أزيلت من فوق المعبدين مائة وخمسين الف متر مكعب ، وبدأت عمليات نشر أحجار المعبدين وفقاً للرسوم التي حددت فيها خطوط القطع والتي روعي فيها المحافظة على وحدة النقوش وقيمتها الأثرية ، ويتراوح وزن كل قطعة بين عشرة أطنان وثلاثين طناً ، كانت تنقل بعناية فائقة الى أعلى الجبل ، وكانت كل قطعة ترقم في نظام حتى يسهل عند بدء البناء حملها الى مكانها ، وبناؤها في موضعها .

وفي الوقت نفسه الذي كانت تجري فيه أعمال النقل كان يجري إعداد الموقع الجديد على ارتفاع خمسة وستين متراً ، وعلى بعد حوالي مائتي متر من شاطىء النيل .

أما المرحلة الثانية من المشروع فقد شملت إعادة بناء الجبل فوق المعبدين ، ليتخذا أقرب شكل الى ما كانا عليه في الأصل . وقد ترتب على ذلك بناء قبة خرسانية فوق كل معبد ، تحمل التلال الصناعية من الركام الصخري مع بناء الصخور الطبيعية حول واجهة كل معبد . ويبلغ طول القبة الكبيرة حوالي خمسين متراً وارتفاعها أكثر من عشرين متراً ، وعرضها حوالي تسعة وخمسين متراً ، أما القبة الصغيرة فتبلغ حوالي نصف القبة الكبيرة حجماً، وتحتوي القبتان على عشرة آلاف متر مكعب من الخرسانة المسلحة .

إن معبدي « ابو سنبل » يقومان الآن على حافة البحيرة الكبيرة للسد العالي ، كما كانا يقومان على ضفاف النيل في الاتجاه نفسه يواجهان أشعة الشمس التي تشرق كل صباح ، وتنفذ الى داخل المعبدين ، ويعتبر هذا العمل دليلاً بارزاً على التضامن الدولي من أجل تراث حضاري يملكه الجميع ، ورمزاً لعمل ثقافي يُعد من أعظم الأعمال التي تم انجازها في هذا القرن .

وتضم بلاد النوبة غير معبدي « ابو سنبل » أربعة عشر معبداً ، قُدّ أكثرها في باطن

مقبرة فرعونية على النيل تحولت في العهد الاسلامي الى جامع وبجواره مقبرة اخرى تحولت في العهد المسيحي الى كنيسة .




تمثال للملكة نفرتارى زوجة الملك رمسيس الثاني في معبد أبو سنبل الصغير . .

التلال الصخرية الممتدة الى الشرق والغرب من مجرى نهر النيل . وقد كانت هذه المعابد من أهم ما وجهت إلى إنقاذها عناية جمهورية مصر العربية والحملة الدولية ، خاصة وأنها تكّون تراثاً تاريخياً ودينياً يعد من أهم حلقات التطور الفني والديني للحضارة المصرية القديمة في عصورها المختلفة ، الفرعوني والاغريقي والروماني . وقد تم نقل هذه المجموعة من المعابد الى ارتفاع ٦٠ متراً جنوب السد العالي ، وقد أسهمت في عملية النقل هذه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية وسويسرا وايطاليا وهولندا وفرنسا وبولندا وكندا وهنغاريا واسبانيا والهند والنمسا وتشيكوسلوفاكيا .

ومن أهم هذه المعابد ، معبد « فيلة » ، ويطلق هذا الاسم على الجزيرة الصغيرة التي تتوسط مجرى النيل ، وتقع بين السد العالي وخزان أسوان ، وهي عبارة عن جزيرة صخرية من الجرانيت الوردي كسيت على ارتفاعات مختلفة بطمي النيل (٢) .

مَعْبَدُ دَابُور

يقع هذا المعبد على مسافة ٢٠ كيلومتراً الى الجنوب من سد أسوان ، وقد بناه الملك النوبي « أزخر آمون » أحد ملوك دولة مروى الذي عاش حوالي عام ٣٠٠ ق . م . ولقد شيده على النمط المصري القديم ، وزاد فيه بعد ذلك الملك بطليموس الثالث ، ثم زينه بالنقوش المختلفة بعض أباطرة الرومان .

ويتكون المعبد من بوابات ثلاث ، يتلوها فناء مفتوح ، ثم ردهتان ، وينتهي المعبد بصالة تحوي « ناووساً » من الجرانيت .

وقد قامت مصلحة الآثار بفك حجارة هذا المعبد ونقله الى جزيرة أسوان واعادت بناءه بعيداً عن مياه السد العالي .

مَعبَد قرطاسي

ويقع هذا المعبد الصغير على مسافة ٤٥ كيلومتراً الى الجنوب من سد أسوان ، ويرجع عصره الى الحكم الروماني ، وهو يعتبر من أبرز المعابد في منطقة النوبة ، وقد تهدمت معظم أجزائه ، وقامت مصلحة الآثار المصرية بنقل أحجاره الى جزيرة أسوان . والى الجنوب من هذا المعبد يوجد محجر كبير قد أخذت منه الأحجار الضخمة التي استعملت في تشييد

---

(٢) راجع قافلة الزيت ، عدد صفر ١٣٩٥ .

معابد « فيلة » ، كما يوجد على مقربة منه حصن روماني لا تزال الجدران المحيطة به قائمة يتوسطها مدخل كبير شيدت بوابته من حجر الجرانيت الوردي .

مَعْبَدُ تافا

يقع هذا المعبد على مقربة من معبد قرطاسي . ويبدو أن هذه المنطقة اكتسبت أهميتها منذ العصر الذي اشتدت فيه المقاومة بين قبائل « البليمي » والرومان . وحتى عام ١٨٨٠ ميلادية كان هناك معبدان ، اندثر أحدهما تماماً ، واستعمل اهل المنطقة حجارته في بناء منازلهم ، وبقي الثاني قائماً ، وهو عبارة عن معبد صغير بني على أساس مرتفع ، ويتكون من صرح يتجه نحو الجنوب .



رسم لكأس على هيئة زهرة اللوتس مصنوعة من المرمر كانت تستخدم للعطور . .



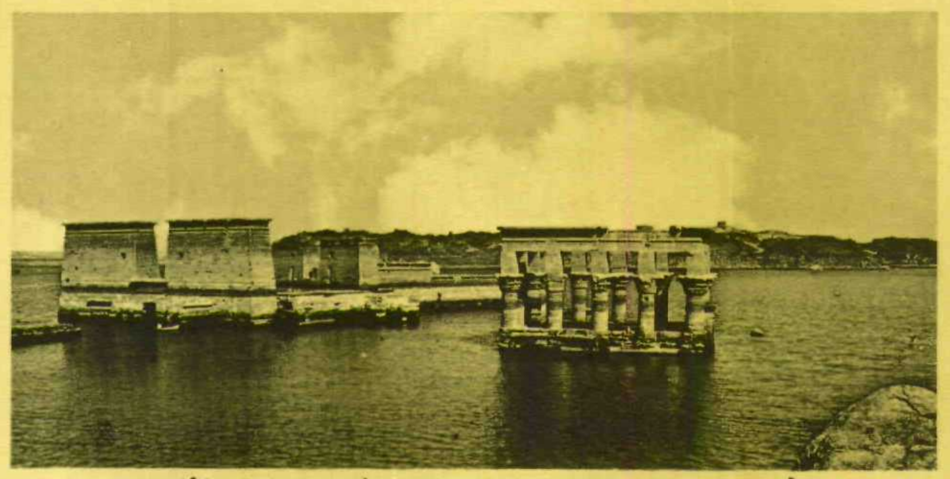
تمثال من الخشب الملون لامرأة تحمل فوق راسها سلة .



لوحة تمثل الملك « امنحتب » وزوجته أمام مائدة عليها بعض المأكولات وأدوات الصيد .

مَعْبَدُ كلابشة

وهو أكبر المعابد المشيدة في بلاد النوبة ، ويقارن بمعبد الكرنك بالاقصر ، ويبعد عن سد أسوان حوالي ٥٧ كيلومتراً . بني هذا المعبد في عصر الدولة الحديثة ، وهو عصر الملك « أمنحتب الثاني » (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) ، وكان ملحقاً بأحد الحصون المنيعة التي بنيت في هذا العصر بين أسوان في الشمال ومدينة « نباتا » عند الشلال الرابع في الجنوب ، هذا علاوة على أن هذه المنطقة بالذات كانت ذات أهمية كبيرة ، اذ قامت على مقربة منها مدينة « تالميس » القديمة .



جزيرة أنس الوجود المشهورة يتوسطها معبد « فيلة » في مدينة اسوان الأثرية . .

ويمتاز هذا المعبد الذي كان قد خصص لعبادة معبود الشمس النوبي « ماندوليس » بنص تاريخي كتبه أحد ملوك دولة مروى واسمه « سيلكو » (القرن الخامس الميلادي) . وتحدث فيه عن انتصاراته المتتابعة ضد قبائل البليمي .

معبد بيت الوالي

ويقع على مقربة من معبد « كلابشة » الى الشمال الغربي منه ، وهو أول المعابد الستة التي شيدها رمسيس الثاني في الصخر ببلاد النوبة . ويتكون هذا المعبد من فناء امامي شيد من الجرانيت ثم صالة اعمدة وتمثال المعبود ، وكلاهما منحوت في الصخر . ولعل أجمل نقوش هذا المعبد وأبرزها هو المنظر المنقوش على الجدار الجنوبي للفناء ، ويمثل الملك رمسيس ومعه بعض ابنائه ، ويمتطي كل منهم عربته الحربية يهاجمون بها مع جندهم مجموعة من الزنوج أخذت تفر هاربة متجهة نحو قرية بنيت أكواخها في غابة من شجر الدوم ، ولقد برع الفنان في تصوير الحياة الريفية في هذه القرية .

معبد دندور

وهو معبد صغير يقع على الشاطيء الغربي للنيل ، وعلى بعد ٧٨ كيلومتراً الى الجنوب من أسوان ، شيده الإمبراطور « أغسطس » سنة ٣٠ ق . م . ولعل من أهم النصوص التي سجلت فوق جدرانه هو ذلك النص المكتوب باللغة القبطية والذي يتحدث عن تحويل هذا المعبد الى كنيسة مسيحية ، وقد سجل حوالي عام ٥٧٧ ميلادية وأوصى بتسجيله الملك النوبي « اكيسبا نومي » .

معبد جرف حسين

ويقع هذا المعبد وهو ثاني معابد رمسيس الثاني المنقوشة في الصخر ، على مسافة ٩٠ كيلومتراً إلى الجنوب من سد أسوان . وهو خاص بالمعبود « سخمت » .

وقد شيد الفناء الخارجي من الأحجار في حين نقشت الأجزاء الباقية من المعبد داخل الصخر ، وهي صالة الأعمدة الكبرى ويليها صالة أخرى صغيرة فتمثال المعبود . ومما يذكر هنا ، الاختلاف الواضح في الأسلوب الفني الذي استعمل في نحت التماثيل ، والأسلوب الذي انتشر في المعابد الأخرى التي شيدها الملك رمسيس الثاني ، ويبدو أن الملك استعان ببعض الفنانين المحليين الذين لم يتقنوا صناعة النحت ولم يتدربوا فنياً على النسب التي اشتهر بها الفن المصري طوال عصوره .

معبد الدكة

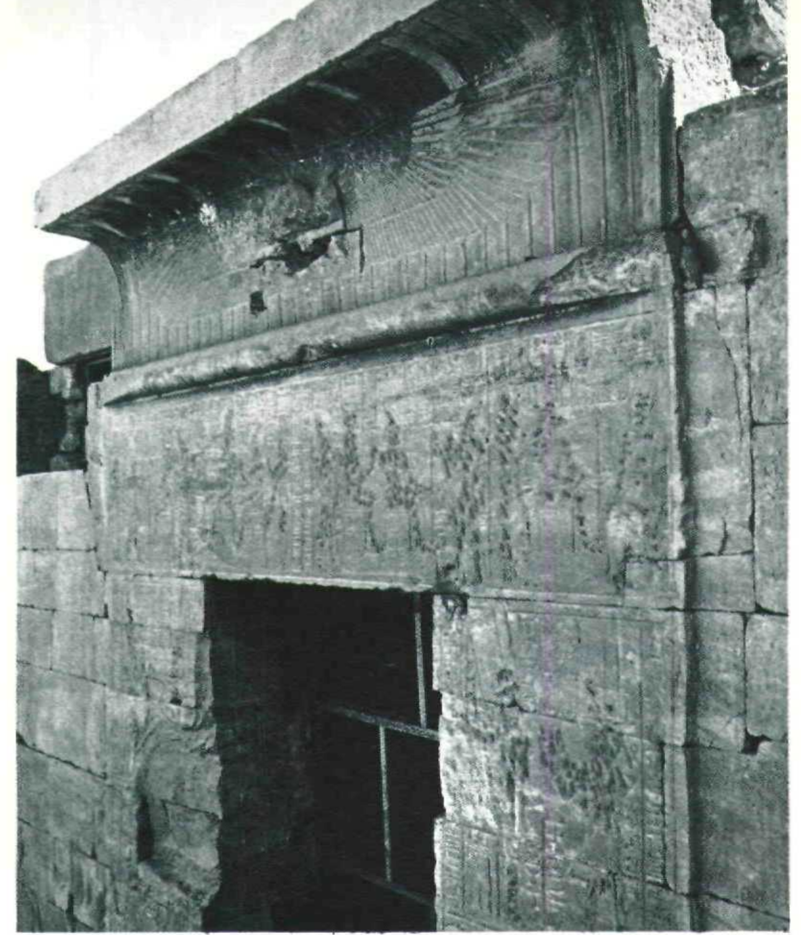
هو ثاني المعابد الكبرى المشيدة ببلاد النوبة ، ويقع على مسافة ١٠٧ كيلومترات الى الجنوب من أسوان ، وقد بني على أنقاض معبد قديم يرجع الى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، إلا أن البناء الحالي يرجع الى عصر الملك النوبي « أركمون » الذي نشأ نشأة متأثرة بالثقافة الاغريقية ، الا ان بعض اجزاء هذا المعبد شيدت في عصر الأباطرة الرومان .

ويتميز هذا المعبد بأنه يمتد بمحاذاة نهر النيل بحيث يتجه في محوره من الشمال الى الجنوب ، وهو بذلك يخالف بقية المعابد التي كانت تصل في فنائها الخارجي الى شاطيء النيل ، ولا يمكن الوصول الى هذا المعبد الا عن طريق النهر .

تمثالان من الحجر الجيري للملك امنحتب الثالث وزوجته الملكة ني . .

لوحة لمقصورة داخل مقبرة الملك تحتمس الثالث غصت بالرسوم والنقوش المعبرة . .





باب لأحد المعابد الأثرية في اسوان وقد بدت بعض الكتابات المنقوشة على واجهته .

قلعة كوبان

تقع هذه القلعة على مقربة من معبد الدكة ، والى الجنوب منه ، ولعل السبب في تشييدها انه كانت على مقربة منها مدينة « بسلكيس » أي « مدينة العقرب » التي لعبت دوراً كبيراً في العصور القديمة ، ليس فقط لأنها كانت محاطة بمسافات شاسعة من الأرض الطيبة الصالحة للزراعة ، بل لوجود الطريق الهام الذي كان يوصل إلى المناجم الشهيرة باستخراج الذهب في وادي العلاقي ، وهي مناجم يحتاج الأمر الى حماية الطريق الموصل اليها .

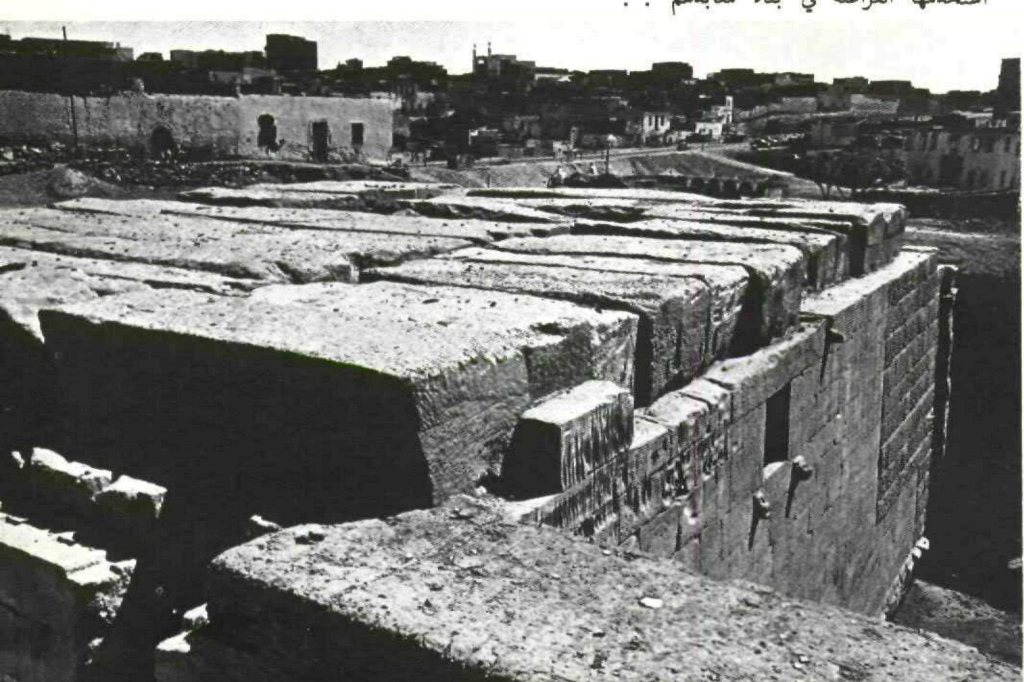
معبد وادي السبوع

يقع هذا المعبد على مسافة ١٥٠ كيلومتراً الى الجنوب من سد أسوان ، وهو المعبد الثالث من المعابد التي شيدها الملك «رمسيس الثاني» ببلاد النوبة ، ويعتقد بأن هذه التسمية ترجع الى صفين من التماثيل على هيئة أبي الهول التي تتقدم واجهة المعبد بين شاطيء النيل والصرح الأمامي . وقد شيدت صالة الأعمدة الكبرى والفناء الخارجي المفتوح

رسم يمثل الملك رمسيس الثالث في حفل تتويجه ملكاً على الوجهين القبلي والبحري .



جانب من مدينة أسوان الأثرية حيث تبدو في مقدمة الصورة كتل ضخمة من الصخور التي استخدمها الفراعنة في بناء معابدهم . .




بيت الوالي الذي شيده الملك رمسيس الثاني في الصخر ببلاد النوبة .


منظر عام لمعبد كلابشه ، وهو من معالم بلاد النوبة التاريخية . .

من أحجار الجرانيت التي نقش على جدرانها بعض الأناشيد التي كانوا يرددونها .

وقد حُوّل هذا المعبد ايضاً الى كنيسة كسيت جدرانها بطبقة سميكة من الجص ، وبقيت محتفظة بكثير من تفاصيلها وألوانها الزاهية .

معبد عمدا

ويقع على مسافة ١٨٥ كيلومتراً الى الجنوب من سد أسوان ، وهو من أقدم المعابد القائمة في بلاد النوبة ، اذ شيده الملك « تحوتمس الثالث » وزاد عليه ابنه « امنحوتب الثاني » ، ومن بعده « تحتمس الرابع » . ولقد اعتدي عليه وخربت بعض أجزائه في عصر الملك « أخناتون » كجزء من الحملة التي أرسلها هذا الملك لتخريب كل المعابد التي خصصت لعبادة (آمون) ، حتى تلك المشيدة في بلاد النوبة السفلى والعليا ، إلا أن الملك « سيتي الأول » أمر بترميمه وإعادته الى ما كان عليه . ولنقوش هذا المعبد أهمية تاريخية ، وبخاصة النص المشهور الذي أمر بتسجيله الملك « امنحوتب الثاني » متفاخراً فيه بقوته وشجاعته . وقد حول هذا المعبد الى كنيسة ، وطليت جدرانه بالجير الأبيض لإخفاء الصور والنقوش المصرية القديمة ، ولقد حافظت هذه الطبقة على الألوان الأصلية التي لا يزال بعضها ظاهراً حتى الوقت الحاضر .

قلعة قصر بريم

تقع هذه القلعة على مسافة ٢٣٥ كيلومتراً الى الجنوب من سد أسوان ، وتمتاز بأنها مشيدة على ربوة صخرية عالية ، جعل موقعها يشتهر بمناعته ، ولا ندري متى بنيت هذه القلعة ، غير أن رجال الآثار يؤكدون أن هذه القلعة لعبت دوراً كبيراً في العصر الروماني ، وفي الحرب الطاحنة التي قامت بينهم وبين الجيش النوبي ، ويؤكدون أيضاً أن السلطان سليم الأول (القرن السادس عشر الميلادي) احتل هذه القلعة ، وترك فيها حامية من جنود الترك مكثوا فيها وتُركوا لأمرهم ، وتزاوجوا من أهل المنطقة ، ونسي أحفادهم لغتهم الأصلية وتحدثوا باللغة النوبية . ولا يزال في هذه القلعة آثار مسجد تهدمت اجزاؤه .

وفي سفح الربوة العالية التي تقوم فوقها قلعة قصر بريم ، نجد خمسة هياكل منحوتة في الصخر ، من عمل بعض حكام بلاد النوبة ، نقشوا على جدرانها بعض الرسوم التي تمثل ملوكهم وهم يؤدون الطقوس الدينية ، ولم ينسوا أنفسهم فسجلوا اسماءهم على الجدران . والسبب في وجود هذه الهياكل في هذا المكان بالذات ، هو أن عاصمة بلاد النوبة إبان عصر الدولة الحديثة كانت تبعد عنه بضعة كيلومترات الى الشمال ، وهي العاصمة « ميعم » المعروفة الآن باسم « عنيبة » .

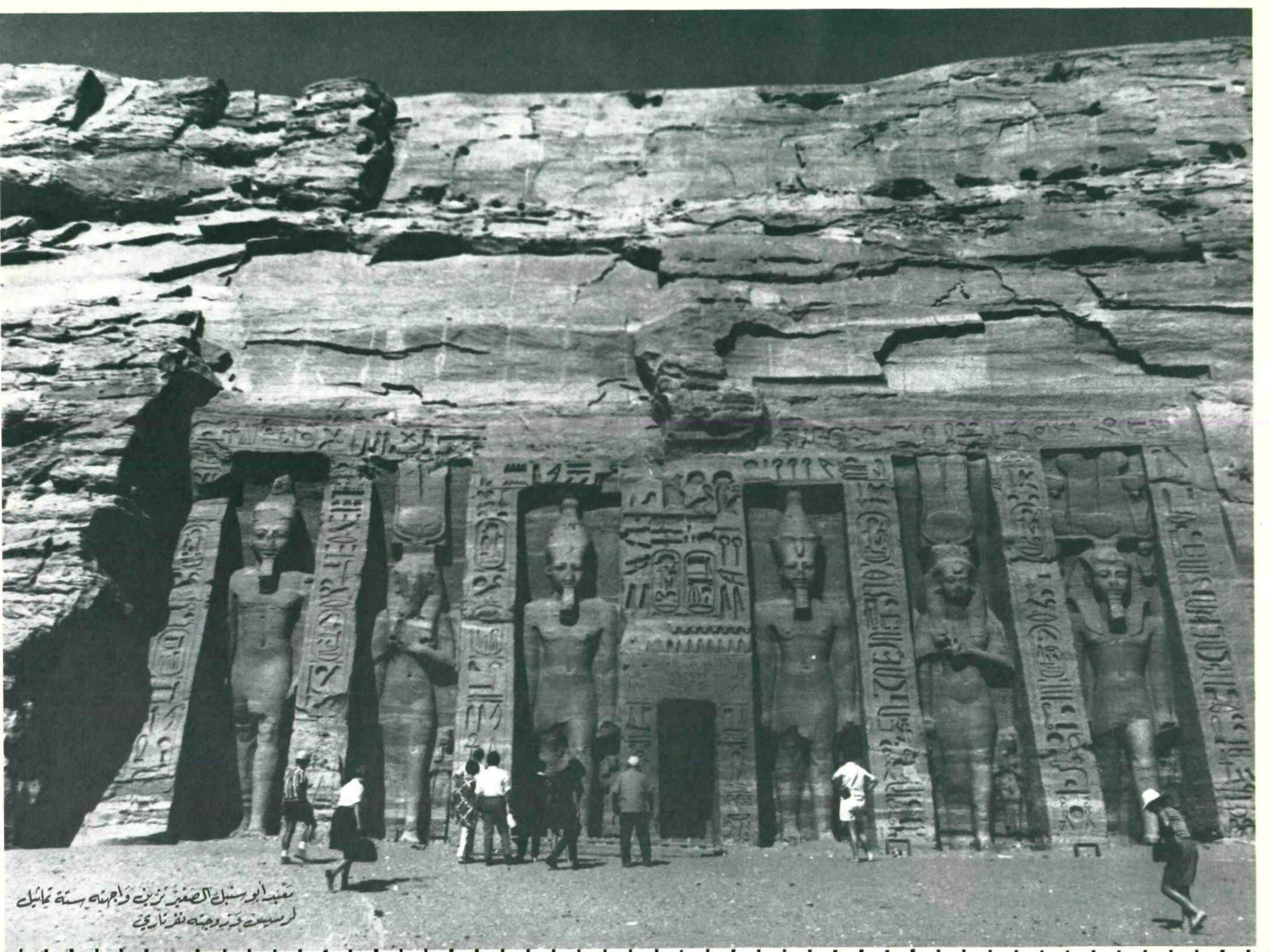
دخلت المسيحية بلاد النوبة في منتصف القرن السادس الميلادي ، وحدث في عام ٥٧٧م أن افتتح رئيس مطارنة أسوان معبد « ايزيس » بعد تحويله الى كنيسة ، فانتشرت الديانة المسيحية في المناطق الجنوبية ، وتحولت معظم المعابد الفرعونية الى كنائس ، وقامت دولة مسيحية نوبية في مديرية دنقلة .

وفي القرن السابع ، واجهت مملكة « دنقلة » المسيحية قوات العرب التي أخذت تتجه الى بلاد النوبة بعد استقرارها في مصر ، وانتهى الأمر بأن عقدت مملكة دنقلة معاهدة مع العرب في عصر الوالي « عبدالله بن سعد بن أبي السرح » عام ٦٥١ ميلادية ، ونصت هذه المعاهدة على ان تشمل البلاد الممتدة من حدود مصر شمالاً الى حدود « علوة » عند الشلال السادس جنوباً ، وعلى أن تدفع مملكة النوبة الجزية الى مصر وأن تتعهد بحماية المسلمين المقيمين فيها .

ثم أخذ الاسلام ينتشر من مصر نحو الجنوب ، وأصبحت بلاد النوبة منذ القرن الخامس عشر جزءاً من مصر واعتنق أهلها جميعاً الاسلام ، وفي أوائل القرن التاسع عشر تحصن بعض المماليك في كثير من مناطق النوبة إلا أن ابراهيم باشا في عهد والده محمد علي ، اجلاهم عنها .

هذه هي الأحداث التاريخية الهامة التي مرت على بلاد النوبة ، منذ ان استقر الانسان الأول حول مجاري مياه نهر النيل ●

محمد زكي راغب – القاهرة



معبد أبو سنبل الصغير تزين واجهته ستة تماثيل
لرمسيس وزوجته نفرتاري

